همام هاشم الآلوسي

السيخ في الهند

صراع الجغرافية والعقيدة



السيخ في الهند

صراع الجغرافية والعقيدة

السيخ في الهند

المؤلف : همام هاشم الألوسى

الطبعة الأولى 2001 م

الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م

رقم الإيداع

2000/17717

I. S. B. N.

977-282-097-8

8 إبراهيم العرابى ـ النزهة الجديدة ـ مصر الجديدة ـ القاهرة ـ ج. م. ع

تليفون : 2972344 - 2957655 / فاكس 2957655 / 00202

ص. ب 5599 هليوبوليس غرب

التنفيذ الضوئى والإخراج الفنى

Palm Beach Computer

همام هاشم الآلوسى

السيخ فى الهند

صراع الجغرافية والعقيدة

القاهـــرة
١٤٢١/٢٠٠٠م

الإهـــداء

إلى.. من كنت أتمنى وجودهم معى اليوم.. والدىّ وأختىّ .. رحمهم الله جميعاً.. كانوا يحلمون بأن أسير على خطى أجدادى فى حب العلم والمعرفة.

إلى.. كل من علمنى حرفاً وعلماً ومحبة..

إلى.. أسرتى الصغيرة التى شاركتنى السهر والحماسة لإصدار هذا المؤلف: لينة وهديل وهاشم وهميم وناصر.. وبقية أفراد عائلتى.

إلى.. كل من سيشاركنى سعادتى بصدور هذا الكتاب..

أهدى خالص محبتى..

همـــام

تمهيـــــد

يتناول هذا الكتاب فى فصوله الثلاثة مقدمة تتناول أهداف البحث ومضمونه، وتعريف بأسلوب العرض مع بيان أهمية الموضوع من خلال الأحداث التى شهدتها الهند أواسط الثمانينيات وما تلاها.

■ **فى فصله الأول:** اخترنا أن نوجز الواقع الجغرافى والسكانى والاجتماعى لجمهورية الهند ومكانة الطائفة السيخية فيها، مع تركيز خاص على إقليم البنجاب موطن السيخ التاريخى.

■ **أما الفصل الثانى:** فقد فتحنا فى قسمه الأول صفحات التاريخ لمعرفة الأصول التاريخية لنشوء العقيدة السيخية وماشهدته من تطورات، ثم تعريف بالأركان الأساسية لتطبيق العقيدة. أما قسمه الثانى فيستعرض تاريخ واقع العقيدة والحركة السيخية فى فترة قيادة المعلمين العشرة السيخ لأبناء طائفتهم مع تركيز على فترة حكم رانجيت سنغ الذى يعتبر أشهر شخصية فى تاريخ السيخ (مع أنه ليس من المعلمين العشرة) لكونه مؤسس مملكة السيخ والذى اعتبرت وفاته موتاً لمملكة السيخ. أخيراً يتناول القسم الثالث

من هذا الفصل، وبشيء من التفصيل، واقع الطائفة السيخية جغرافياً وسكانياً واجتماعياً واقتصادياً، بالإضافة إلى بيان أهم العادات (الدينية) والشعبية التى يمارسها السيخ.

إن الإسهاب بعض الشيء فيما أورده هذا الفصل من استعراض لظروف نشوء الطائفة يعود في اعتقادنا إلى محدودية المعلومات المنشورة بالعربية عن أصل الطائفة وتطورها التاريخي، كذلك وجدنا أهمية أن تشمل هذه الدراسة الواقع (الدينى) والمذهبى للطائفة كأهمية شمولها على الواقع السياسى ومستقبل الحركة.

■ **فى الفصل الثالث**: تناولنا موقع السيخ كطائفة ومعتقد بين الأديان والمذاهب الرئيسية التى تتوزع بين أبناء الهند والتى لاتزال تلعب فى أحيان كثيرة الدور الأساسى فى تكتلات الهنود وانتماءاتهم السياسية والفكرية، وجاء التركيز فى هذا الفصل على نشوء الحركة الانفصالية من قبل جماعات سيخية وجدت فى ظروف تعايشها الصعب مع باقى أبناء الطوائف (أخصها الطائفة الهندوسية) أهمية تحولها من جماعة دينية إلى جماعة سياسية تؤمن أن حماية أبناء الطائفة لاتتحقق إلا من خلال وحدة سياسية ومواقف موحدة للسيخ كافة، وهو أمر أغرى الكثير من القوى الأجنبية على محاولة التأثير على الاتجاهات والتجمعات السياسية للأحزاب والجماعات الكثيرة داخل السيخ لتمرير مخططاتها فى إضعاف الهند، واستخدام هذه التجمعات كأدوات نفوذ لها تحركهم متى تشاء.

■ **يلى الفصل الثالث**: بحث يتناول تحليل ماسبق تناوله فى الفصول السابقة حول مستقبل الحركة السيخية والاتجاه الانفصالى داخلها بعد أحداث عام ١٩٨٤، يليه استنتاج الكاتب حول حاضر ومستقبل الهند من خلال التعامل مع المسألة السيخية وتأثيرات العلاقة مع السيخ على النظام ودور هذا التعامل فى رسم خريطة الهند الداخلية (السياسية والاجتماعية) وخريطتها الخارجية بالنسبة إلى الدور الذى تريد أن تلعبه فى الأحداث السياسية العالمية بدءاً بعلاقاتها مع جيرانها ومع القوى الدولية الكبرى.

■ **وأخيراً**: فقد يكون من الواجب أن نشير إلى تثبيتنا فى آخر البحث لأهم المصادر التى ساعدتنا فى بحثنا هذا دون تسمية جميع ما اطلعنا عليها، نظراً لكثرة عددها، حيث إن فكرة إعداد هذه الدراسة جاءت خلال عملنا الدبلوماسى فى الهند مابين الأعوام ١٩٨١ ـ ١٩٨٥، وقت تناول جميع الصحف والمجلات ووسائل الإعلام الهندية ـ خاصة عامى ١٩٨٤ و١٩٨٥ ـ وبتغطية مركزة وواسعة للمسألة السيخية وأحداث إقليم البنجاب. عدنا بعدها، لإعادة النظر فى المسودة المهيأة للدراسة وتوسيعها وتجديد العديد من المعلومات، أملاً فى الإلمام بالموضوع من كافة جوانبه.

المقدمة

تعرف الهند بأنها البلد الذى يحتوى على أكبر عدد من التناقضات فى دول العالم، كما تعرف بأنها بلاد التعدديات الإقليمية والدينية والعرقية والثقافية واللغوية.. تلك التعدديات التى أصبح كل منها فى العقود الأخيرة من القرن الماضى بمثابة بركان داخلى قد ينفجر فى أية لحظة ليمزق وحدة واستقرار بلد عُرف بكونه يقف فى طليعة أكبر الديمقراطيات وأقدمها فى العالم الثالث.

إن الأزمات الطائفية أو العرقية ـ التى ولدت من رحم التعدديات ودعوات الانفصال من قِبل الأقليات المتعددة ـ ليست بالأمر الجديد على دولة الهند، فقد عاشتها حتى قبل استقلالها عام ١٩٤٧.. ذلك العام الذى شهد انفصال جزء عزيز عليها هو الإقليم الغربى من البنجاب الذى سمى بعد ذلك بالباكستان.. ومع مرارة انفصال باكستان وأحداث العنف والمذابح التى وقعت بين مواطنى البلد الممزق ثم اغتيال المهاتما غاندى (رجل الهند الأعظم فى القرن العشرين) بعد بضعة أشهر، تصف العديد من المصادر ومعظم أبناء الشعب الهندى عام ١٩٨٤ بأنه من الأعوام السوداء فى تاريخ الهند

الحديث، إذ لم تواجه البلاد أياماً صعبة كالتى عاشتها قبل وأعقاب الصدمة التى نجمت عن اغتيال زعيمة الهند الراحلة أنديرا غاندى، فموتها كان موتاً لهند {اللاعنف}، ووجدت القيادة الهندية فجأة أن عليها مواجهة المشاكل الكبيرة التى تفجّرت إثر رحيل السيدة غاندى من خلال معالجة التوترات الكثيرة والمثيرة للاضطراب داخل البيت الهندى الذى عصفت به المشاكل من كل ناحية وصوب منذ النصف الثانى من عام ١٩٨٢ حين اعتبرت أزمة إقليم البنجاب والأكثرية السيخية فيه واحدة من أكبر الأزمات.

كان عام ١٩٨٤ هو عام (القضية السيخية) فى الهند، فخلاله وقبل حدَثى دخول الجيش الهندى للمعبد الذهبى السيخى واغتيال غاندى، برزت مشكلة الطائفة السيخية لتحتل مرتبة عالية بين المشاكل التى تعانى منها الهند منذ نيلها الاستقلال، وأخذت أخبار العنف الذى تعيشه مقاطعة البنجاب (موطن السيخ) تحتل مساحة مهمة من هموم المواطن الهندى بشكل عام وحكومة زعيمة الهند الراحلة أنديرا غاندى بشكل خاص. وأخذت علامات الاستفهام لمستقبل طائفة السيخ تكبر يومياً بشكل متصاعد مع تصاعد حوادث الاقتتال الطائفى بين الهندوس والسيخ فى مقاطعة البنجاب من جهة ومع ارتفاع أصوات متطرفى السيخ فى الإصرار على مواصلة (النضال المسلح) من أجل تحقيق حلمهم الكبير فى تأسيس دولة السيخ المستقلة (خالستان) من جهة أخرى.

إن المستقبل الذى ينتظر الهند أمر جدير بالترقب والدراسة، ولابد لأى باحث فى تاريخ الهند السياسى الحديث من إيلاء أهمية خاصة لموضوع

الحركات الانفصالية الصغيرة منها والكبيرة داخل البلاد، ودور هذه الحركات فى تقرير وحدة النسيج الوطنى والاجتماعى للهند.

وحيث إن المسألة السيخية تعتبر واحدة من أكبر المسائل التى تحتل الهم الأكبر لدى قادة الهند لكونها موضوعاً ساخناً منذ عقود - إن لم يكن منذ قرون - يخص طائفة اجتماعية مهمة ذات تأثيرات سياسية واقتصادية واجتماعية على عموم الأوضاع فى البلاد وتطورها فى المستقبل، فقد ارتأينا اختيارها لموضوع هذا الكتاب منطلقين من حقيقة تأثير هذه الأوضاع على علاقات الهند مع دول العالم الأخرى ومنها الدول العربية، إضافة إلى أن اختيارنا للموضوع جاء نتيجة اعتقادنا بتشابه المسألة السيخية مع الكثير من الحركات الانفصالية داخل الوطن العربى التى تتماثل معها فى بعض الوجوه رغم البعد عنها فى أغلب خصائصها ... منها الأصابع الأجنبية داخل هذه الحركات الانفصالية ورغبة أكثر من جهة فى تمزيق بلد متوحد له موقعه المهم فى خريطة العالم السياسيَة والجغرافية، إضافة إلى تذبذب رغبات أبناء الطائفة فى البقاء ضمن بلد موحّد قومى (وهم يشكلون الأكثرية فى معظم الحالات) بدلاً من خلق كيان ضعيف سيكون عُرضة بلا شك لافتراس الطامعين.

وكان الدافع الأساسى لتقديم هذه الدراسة إلى المطبعة كأول بحث بالعربية - حسب علمى - متخصص عن السيخ، هو ماوقفت عليه من خلو المكتبة العربية من أى مصدر عن طائفة السيخ رغم ثراء هذه المكتبات

بالمئات من الدراسات والبحوث عن الأديان والمعتقدات والمذاهب والطوائف والملل.

ويدفعني الوفاء بالفضل الذى قدمه لى العشرات من الأخوة والأصدقاء بشكل معلومات قيمة ومفيدة، أو بشكل دعم وتشجيع، لولاهما لما خرجت الدراسة إلى النور أصلاً، أن أوجه لهم خالص شكرى وتقديرى معتذراً عن عدم ذكر أسمائهم لضيق المجال.. غير أننى أجد لزاماً علىّ أن أذكر بعض من كان له دور كبير فى إتمامها كالصديق العزيز فى الهند موتا جوديسما والأخ جمال البدرى زميلى فى العمل فى شعبة رعاية مصالح جمهورية العراق بالقاهرة، والذى قدم لى العون الكبير فى وصول الدراسة إلى يد القارىء.

أخيراً، لابد من تقديم الاعتذار مسبقاً لمن يجد من أصدقائى ومعارفى الهنود من مختلف انتماءاتهم الدينية والعرقية تجاوزاً عن الحدود المسموح بها فى قول الحقيقة أو تثبيت وقائع لأحد أصعب الموضوعات بحثاً ودراسة وهو موضوع الطوائف والملل والأديان.

والله الموفق.

همام هاشم الألوسى

القاهرة: أيلول (سبتمبر) ۲۰۰۰

الفصل الأول

الوضع الجغرافى والسكانى والاجتماعى لجمهورية الهند ومكانة الطائفة السيخية فيها

تحتل جمهورية الهند الجزء الأكبر من شبه القارة الهندية التى تقع فى الجزء الأوسط من جنوب أسيا شمال خط الاستواء، ويحيط بها البحر العربى من الغرب وخليج البنغال من الشرق، والمحيط الهندى من الجنوب. تفصلها عن معظم أرجاء القارة الآسيوية أعلى سلسلة جبالٍ فى العالم هى جبال همالايا.

كان الاسم الرسمى القديم للهند هو بهارات [BHARAT][1]، ثم أصبح الاسم الرسمى لشبه القارة هو الهند قبل أن تتجزأ وتنتهى إلى ثلاث دول تُعرف الآن بـ: الهند وباكستان وبنغلاديش. تحادد الهند حالياً من الدول كل من النيبال والصين وبوتان من الشمال، واتحاد ماينمار (بورما سابقاً) وبنغلاديش من الشرق، وباكستان من الغرب.

تبلغ مساحتها حالياً ٣.٢٨٧.٧٨٢ كم٢، وتشكل بذلك سابع أكبر دولة فى العالم من حيث المساحة، أما فى تعداد سكانها فتأتى الثانية بعد الصين، إذ يُقدّر عدد سكانها فى بداية عام ٢٠٠٠ بأكثر من مليار

(١) Encyclopedia Britannica (Volume 12, page 30). Published by Encyclopedia Britannica, Inc. 1969.

نسمة[٢] هم خليط من أجناس وشعوب مختلفة استوطنت الهند عبر عصور طويلة من التاريخ، ولم يفلح علماء التاريخ إلى الآن فى الكشف عن الوسيلة التى جمعت بين الشعوب والأجناس العديدة المختلفة التى عاشت فى شبه القارة الهندية قديماً، كما لم يستطع هؤلاء العلماء معرفة أصول سكان هذه البلاد الأصليين.

المعروف هو أن الحضارة الهندية ـ التى تعتبر واحدة من أهم الحضارات فى العالم ـ ترجع إلى ماقبل التاريخ، وأن أقدم الشعوب التى عاشت فى المنطقة هم الدرافيديون [Dravidians] الذين من المحتمل أن يكونوا من شعوب البحر المتوسط من ذوى البشرة السمراء، والذين جاءوا إلى الهند من شمالها الغربى، وأسسوا حضارة مدنية فى وادى نهر السند ازدهرت حوالى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد.

توجد ثغرة واسعة بين عصر الدرافيديين والعصر الذى غزت فيه القبائل الآرية [Aryans] الهند ـ عن طريق البنجاب ـ فى حوالى ١٥٠٠ ق.م، ويذكر التاريخ أن الآريين (وأصلهم من آسيا الوسطى) قد وطدوا سلطانهم فى الشمال أولاً، ثم أخذوا ينتشرون جنوباً مقيمين حضارة برهمية تشكلت فيها الأصول الأساسية للمذهب الهندوسي.

بعد دخول الآريين الهند، لم تشهد البلاد غزوات مهمة حتى القرن السادس قبل الميلاد، وهو القرن الذى يتميز بحدثين مهمين: أولهما ظهور

(٢) حسب ما نشر فى منتصف عام ١٩٩٩.

أفكار ومعتقدات جديدة كان أهمها ظهور (المذهب) البوذى و(المذهب) الجينى، وكلاهما من (الديانات) السائدة فى الهند إلى اليوم، أما ثانى الحدثين فكان بدء تعرض الهند لسلسة من الغزوات استمرت أكثر من خمسة وعشرين قرناً مضيفة عناصر جديدة إلى سكان شبه القارة.

بدأت سلسلة الغزوات بالفرس الذين دخلوا الهند بقيادة داريوس، وانتهت بإعلان الهند جزءاً من الإمبراطورية البريطانية عام ١٨٥٨م. وخلال هذه الفترة قامت واندثرت الكثير من الممالك والإمبراطوريات كان أهمها الإمبراطورية المورية (٣٢٥ ـ ١٨٤ ق.م) التى جعلت الديانة الهندوسية الدين الرسمى للإمبراطورية، وإمبراطورية الملك أشوكا (القرن الثالث قبل الميلاد) التى جعلت البوذية (ديانة) الدولة، ثم جاء الفتح الإسلامى للهند عام ٧١٢م على يد القائد العربى ذى السبعة عشر عاماً محمد بن القاسم، وقد استطاع [فتحها كلها خلال ثلاث سنوات فقط وترك فيها آثاراً إسلامية طيبة][٣]، وبعده بنحو ٢٥٠ عام عاد المسلمون إلى الهند عن طريق القائد الإسلامى (التركى) محمود الغزنوى، الذى بدأ غاراته فى نهاية القرن العاشر حيث استطاعت قواته شيئاً فشيئاً السيطرة على كل أرجاء البلاد، وفى عام ١٥٢٥م غزا المغول (وهم أيضاً مسلمون) الهند وأسسوا إمبراطورية المغول العظيمة (١٥٢٦ ـ ١٧٠٧م).. تلا ذلك صراع عدد من الدول الأوروبية

---

(٣) الدكتور عبدالله مبشر الطرازى/ موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب (الجزء الأول ـ ص ٢٢٥) ـ نشر عالم المعرفة للنشر والتوزيع/ جدة ١٩٨٣.

(البرتغال، بريطانيا، فرنسا) للسيطرة على البلاد، وتم حسمه من قبل البريطانيين حيث سيطروا على الهند عام ١٧٨٤م، وعُيّن أول حاكم بريطانى للهند عام ١٧٨٦م.

فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر بدأت الهند تستيقظ من غفوتها من خلال تنامى المشاعر الوطنية لأبنائها، بعد أن أصبح واضحاً لهم استبداد المستعمرين البريطانيين ونهبهم لثروات البلاد وجعل الفُرقة والتناحر بين الطوائف والأديان هدفاً أساسياً للسيطرة على البلاد من خلال تطبيقهم شعارهم المعروف (فرّق.. تسُد)، وفى عام ١٨٨٤م أسس بعض القادة الهنود المؤتمر الهندى الوطنى الذى جعل هدفه الأول ـ من خلال تعبئة المشاعر الوطنية ـ حصول الهند على الحكم الذاتى.

أمام نمو التيار الوطنى، اضطرت بريطانيا أن تمنح الهنود فى بادىء الأمر نصيباً ضئيلاً لتدبير شؤون بلادهم، رضخت بعدها إثر نجاح الزعيم الهندى المهاتما غاندى فى تعبئة مئات الآلاف من أبناء الشعب الهندى بمختلف دياناتهم لانتهاج سياسة المقاومة السلبية (السلمية) لمنح الهند الاستقلال التام الذى نالته عام ١٩٤٧ تحت قيادة حزب المؤتمر الهندى بزعامة جواهر لال نهرو، الذى رفع علم بلاده يوم استقلالها فى ١٥ آب (أغسطس) عام ١٩٤٧.. وأعلنت الهند فى ٢٦ كانون الثانى (يناير) ١٩٥٠ إقامة جمهورية ذات سيادة، مع البقاء عضواً فى رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث).

ورغم الفرح العارم الذى غمر أبناء البلاد بالاستقلال، إلا أن الأحداث التى أدت إلى انفصال باكستان عن الهند بعد الاستقلال، وما رافقها من مذابح رهيبة بين المسلمين من جهة، والهندوس والسيخ من جهة أخرى، أصابت الكثير منهم بالصدمة، وسلبت الفرحة بالتحرر من الاستعمار.

ومنذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا ظل حزب المؤتمر الهندى (الكونغرس) مسيطراً أو لاعباً أساسياً فى الحياة السياسية فى البلاد خاصة فى فترات قيادته تحت لواء الزعيم جواهر لال نهرو وابنته أنديرا غاندى (لحين اغتيالها) وولدها راجيف غاندى (لحين اغتياله أيضاً) والذين تقلدوا منصب رئاسة الوزارة(٤) فى دولة تُعد من أكثر دول العالم تعقيداً فى علاقات مواطنيها بسبب تعددية عروقهم ولغاتهم وأفكارهم وتراثهم وتقاليدهم وأديانهم ومعتقداتهم إضافة إلى تباين ثقافات أبنائهم.. ففى بلد يتجاوز عدد سكانه المليار نسمة (حوالى سدس سكان العالم) تتوزع أديان ومذاهب مواطنيه مئات المعتقدات، ويعانى أبناؤه بشدة من اللغات التى أحكم مستعمرو الهند تثبيتها طوال عشرات القرون من الحكم والنفوذ الأجنبى.

إن التقديرات الرسمية تشير إلى توزع أديان ومذاهب الشعوب الهندية بين المعتقد الهندوسى الذى يؤمن به حوالى ٨٣٪ من السكان، والدين الإسلامى الذى يؤمن به أكثر من ١١٪ من السكان، ثم يأتى أتباع الدين

---

(٤) يعتبر رئيس الوزراء فى الهند الشخص الأكثر أهمية وفاعلية، إذ أن رئيس الدولة يتمتع فى العادة بمهام تشريفية (بروتوكولية) فقط.

المسيحى الذين يشكلون ٣٪، ثم السيخ ونسبتهم ٢٪، أما باقى النسبة وهى ١٪ فيقتسمها البوذيون والپارسيون (الزرادشتيون) وأتباع المعتقدات الأخرى. ويشكل أتباع الدين اليهودى نسبة ضيئلة من نسبة الـ١٪ هذه، إذ لايتجاوز عددهم فى الهند حالياً الأحد عشر ألف يهودى(٥).

ينتشر أتباع الأديان والمعتقدات أعلاه فى كافة أرجاء الهند، مع ماهو معروف عن تمركز قسم منهم فى ولايات ومدن معينة، فكشمير معظم سكانها من المسلمين، ومدن [حيدر آباد وأحمد أباد ومومباى (بومبى سابقاً) وكلكتا ولكناو] تضم مجموعات كبيرة من المسلمين، أما المسيحيون فيسكن معظمهم فى جنوب الهند، وهناك مناطق معروفة بغالبيتها المسيحية مثل گوا وكيرالا وبعض مدن الجنوب. أما أتباع المعتقد الزرادشتى (البارسيون) فيتمركزون فى ولاية مهراشترا وفى عاصمتها مومباى بالخصوص. كذلك الحال بالنسبة لليهود فمعظمهم يسكن نفس المدينة.

وبالنسبة لأتباع المعتقد السيخى فيتمركز معظمهم فى ولاية البنجاب، رغم انتشار أعداد غير قليلة منهم فى كافة الولايات الهندية.

إن الانتماء الدينى أو المذهبى يلعب فى أحيان كثيرة دوراً أساسياً فى تحديد انتماء الفرد الهندى سياسياً... ويتضح ذلك بصورة جلية فى الأحزاب والتنظيمات السياسية ذات الصبغة الإقليمية أو الدينية، وهى فى الغالب أحزاب صغيرة فيما لو قورنت بالأحزاب كبيرة العدد النشطة على

---

(٥) تختلف الطوائف الهندية فى بيان هذه النسب.. وهى فى العادة ترفع هذه النسب عند الحديث عن عدد أبنائها، وتخفضها بالنسبة للطوائف الأخرى.

الساحة السياسية والتي تضم معظمها أعضاء من جميع الأديان والمعتقدات مثل حزب المؤتمر الهندي (الكونغرس أي) وحزب بهارتيا جاناتا وجاناتا وحزب اللوك دال والحزب الشيوعي الماركسي وحزبي الكونغرس (S) و(O) والحزب الشيوعي الهندي (منشق من الحزب الشيوعي الآخر).

أما الأحزاب والتجمعات السياسية ذات الصبغة الدينية، فيأتي على رأسها حزب الأكالي دال وأتباعه هم من طائفة السيخ فقط، والرابطة الإسلامية التي تضم أعضاء مسلمين. ولمعظم الأحزاب والتجمعات السياسية التي ذكرناها آنفاً أعضاء في البرلمان الهندي الذي يتكون من مجلسي النواب والشيوخ.

وكما تنقسم انتماءات الشعب الهندي الدينية إلي مئات المعتقدات والأديان، وتنصب انتماءاتهم السياسية في مئات الأحزاب الكبيرة والصغيرة، فإن رقم المئات يذهب إلي اللغات التي تتكلمها شعوب الهند، ومن بين (٨٧٢) لهجة ولغة تتحدثها هذه الشعوب، وهو أعلى رقم في العالم، [هناك العديد من اللغات لا يتكلمها سوى بضعة آلاف من الهنود] يعترف الدستور بـ(١٥) لغة رسمية منها. تأتي اللغة الهندية كلغة رئيسة[٦]، وتساعدها اللغات الباقية التي من أهمها اللغة الإنجليزية وكذلك البنجابية

(٦) الرقم ٨٧٢ لغة ولهجة أوردته الموسوعة البريطانية في الصفحة ٣٢، أما كتاب (الهند في عهد راجيف) لمؤلفه محمد جواد علي، فقد أشار في صفحته ٤ إلى (وجود ١٦٥٢ لغة ولهجة في الهند منها ١٥ لغة رسمية معترف بها)، في الوقت الذي ذكر لنا فيه مصدر مطلع في المركز الثقافي الهندي أبو الكلام أزاد في القاهرة في لقاء معه خلال شهر أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠، بأن عدد اللغات واللهجات في الهند هي أكثر من (٢٢٠٠)، وأن عدد اللغات الوطنية التي يعترف بها الدستور الهندي هي ١٨ لغة.

التى يتحدثها السيخ والتى تعتبر اللغة الرئيسية فى ولاية البنجاب، واللغة الأوردية التى يتكلم بها المسلمون الهنود(٧).

ويتكلم فى العادة من سنحت له فرص التعليم أكثر من لغة، وليس الحصول على فرص التعليم هذه بالأمر السهل على جميع الشعوب الهندية، فالأمية نسبتها عالية بسبب ضعف السياسة التعليمية فى البلاد، وتلعب الأمية دوراً مهماً فى تأخير عملية تقدم الهند رغم إمكانياتها الهائلة فى التطور والوصول إلى مصاف الدول المتقدمة حضارياً وتكنولوچياً، ورغم نجاحها أحياناً فى الوصول إلى حلقات متقدمة فى الصناعة والتكنولوچيا والعلوم (صناعتها للقنبلة النووية مثلاً).

من بين دول العالم الثالث، تعتبر الهند من الدول المتقدمة صناعياً، كما تعتبر من الدول ذات الاقتصاد متنوع الأنشطة الإنتاجية والخدمية، وهى غنية بما تمتلكه من ثروات طبيعية (منها النفط). كذلك فإن زراعتها متقدمة وهى اليوم فى اكتفاء ذاتى تام، بل إنها أخذت منذ سنوات بتصدير الكثير من المنتجات الغذائية إلى دول العالم العربى، وسلة الهند الغذائية هو إقليم البنجاب الذى سنفرد له لاحقاً بحثاً خاصاً باعتباره ذا علاقة وثيقة بموضوع هذه الدراسة.

إن مشاكل تباين العرق والدين والمعتقد والتراث واللغة التى تم التطرق إليها آنفاً، إضافة إلى ماورثته الهند من تركة السيطرة الاستعمارية الطويلة على البلاد والحجم الجغرافى والسكانى الهائل، عكست خصوصية للمجتمع

(٧) الأوردية لغة هجينة غير أصلية كلماتها خليط من العربية والفارسية والهندية.

الهندى تميزه عن باقى مجتمعات دول العالم الأخرى، ودفعت حكامه ومفكريه إلى وضع فلسفة تستطيع استيعاب هذه التناقضات والاختلافات العميقة. وتقوم هذه الفلسفة على أساس تثبيت ديمقراطية تخلق حالة من التعايش والانسجام تصهر هذه التناقضات لتصبها فى بوتقة حس وطنى يهدف إلى تثبيت وحدة البلاد واستقرارها ودعم قيادتها فى مسعاها لحل مشاكل المجتمع.

***

إقليم البنجاب قديماً وحديثاً
وموقع السيخ فيه

البنجاب هى أرض السيخ التاريخية، حيث ولد فيها معلمهم الأول مؤسس معتقدهم، وفيها أيضاً نشأ المعلمون التسعة بعد المعلم الأول، و جاء بعدهم من الزعماء.

عاشت أوضاع الطائفة السيخية فى البنجاب مابين مد وجزر، وقاس. الكثير من تبعات الغزوات التى وقعت على هذا الجزء من أرض الهند الكبرى مشاركة بذلك مستوطنى الإقليم من المسلمين والهندوس.

ومع أن أقلية من أبناء الطائفة، اضطرت نتيجة الظروف الصعبة مرت بها إلى النزوح والهجرة من الإقليم إلى مناطق أخرى داخل وخارجها، إلا أن العدد الأكبر من الأبناء فضلوا البقاء واستمرار العيش الإقليم لكونه وطن العقيدة وأخوة المصير والأرض المقدسة التى تضم وأهم معابدهم الدينية، إضافة إلى العامل التاريخى الذى يشير إلى تمركز أبناء الطائفة قد جاء أولاً فى مناطق معينة من البنجاب قبل أن امتداداته لباقى المناطق[٨].. وشجع على ذلك فى حينه تمركز الزراعة والصناعة فى أيدى مواطنيهم من أبناء الطائفة.

---

(٨) يوجد السيخ حالياً فى كل أنحاء الهند من أقصى شمالها فى كشمير إلى أقصى جنوبها Kanyakumari، ومن أقصى غربها فى ميناء بومبى إلى أقصى شرقها فى غا Manipur.

يعتبر الإقليم حالياً من أغنى مناطق الهند زراعياً ويُعرف بإنتاجه لأكبر كميات القمح فى البلاد ويسمى بسلة الخبز للهند.. فيه صناعات متقدمة يسيطر عليها السيخيون (وأخصها صناعة النسيج)، ويعتبر وضع السيخى فى إقليم البنجاب أفضل من وضع أى هندى آخر وفى أى إقليم.

كذلك فإن موقع البنجاب من ناحية أخرى يعتبر موقعاً استراتيجياً مهماً فهو خط الحياة الواصل بين الهند وكشمير.. وكشمير كما هو معروف هى مشكلة كبيرة أخرى للهند حيث إنها مسلمة السكان ومجاورة لباكستان الإسلامية فى الشمال وهناك مصادر تشير إلى مناداة أبناء كشمير بالانفصال أو بالالتحاق بالباكستان، يضاف إلى كل ذلك حقيقة تاريخية معروفة هى أن كل الأقوام والشعوب التى غزت الهند ـ عدا بريطانيا ـ جاءت عن طريق البنجاب، كان منها غزوات الأفغان والأتراك والمغول.

أجمعت العديد من المصادر على أن انفصال الباكستان عن الهند عام ١٩٤٧ أعاد ثانية إبراز قوة الوجود القومى للسيخ فى إقليم البنجاب[٩]، فقد دفع بمعظمهم إلى التجمع فى الجزء الذى بقى مع الهند[١٠]، ومن هنا تصاعدت أحلام السيخ فى تأسيس دولة مستقلة لهم.. تلك الأحلام التى كان العديد منهم يحملها منذ عقود إن لم يكن منذ قرون.

---

(٩) عند الانفصال عام ١٩٤٧ تغير اسم شرق البنجاب إلى البنجاب بموجب الدستور الهندى.

(١٠) يقدر عدد السيخ الذين هاجروا من إقليم البنجاب فى باكستان إلى الهند إثر مذابح التقسيم بحوالى ٢,٥ مليون شخص.

وتشير الأرقام المتوافرة إلى [أن الإقليم كان يضم عام ١٩٢١ نسبة ١٤٪ من السيخ و٣٪ من الهندوس أمام نسبة ٥٣٪ من المسلمين][11] ـــ أى أن أغلبية سكانه كانت من المسلمين ـ أما إحصاء عام ١٩٧١ فقد أشار {إلى أن أعداد سكان الإقليم من السيخ قد قفزت لتحتل المرتبة الأولى، إذ بلغ عددها (٨,١٥٩,١٧٢) مليون[12] تلتهم أعداد السكان الهندوس التى بلغت (٥,٠٣٧,٢٣٥) مليون، فى الوقت الذى تراجعت فيه أعداد المسلمين إلى (١١٤,٤٤٧) نسمة فقط لتحتل المرتبة الرابعة بعد المسيحيين}.

أما اللغة التى يتكلم بها السيخ، فهى اللغة البنجابية، فى الوقت الذى يستعمل فيه الهندوس المقيمون فى البنجاب اللغة الهندوسية.

---

(١١) جان بيير دارودو/ تقرير تحت عنوان (الهند وأزمة السيخ) نشرته صحيفة اللوموند دبلوماتيك فى عددها الصادر فى تشرين أول (أكتوبر) ١٩٨٥، وترجمه الدكتور ناظم عبدالواحد جاسور. ص٤.

(١٢) يقول السيخ بأن زعيم الهند جواهر لال نهرو كان معروفاً بتشدده وإصراره على عدم اعتبار البنجاب ذى أغلبية سيخية، بل إنه عمل عام ١٩٥٥ عند تقسيم الولايات الهندية إلى توسيع حدود إقليم البنجاب وضم بعض المناطق ذات الأغلبية الهندوسية إليه.

الفصـــل الثانـــى

الســـيخيـــة
عقيـــدة وتاريخـــاً وواقعـــاً

١ ـ عقيدة:

(أ) منشأ العقيدة وتطورها:

تطلق كلمة السيخ[١٣] على العقيدة وعلى المجموعة البشرية التى تؤمن بهذه العقيدة التى ترجع فى أصلها إلى الهندوسية والبرهمية، والهندوسية كما هو معروف واحدة من أقدم العقائد فى العالم تأسست فى الهند قبل أكثر من ٣٥٠٠ عام[١٤].. وهى قديمة قدم الوثنية فيها، وتقف من حيث قدمها

---

(١٣) كلمة سيخ (Sikh) اشتقت أصلاً كما تذكر الكثير من المصادر والباحثين من كلمة (Sikkha) التى تعنى باللغة الباليه (Pali) (لغة الأسفار البوذية المقدسة) معنى المريد أو التابع. والبعض الآخر يرجع أصل الكلمة إلى الكلمة السنسكريتية شيشيا Shishya والتى تعنى نفس المعنى السابق (المريد أو التابع)، وترى أن إطلاق هذه الكلمة جاء بسبب كون السيخ أتباع معلمين عشرة (Gurus).

(١٤) الهندوسية (Hinduism) هى المعتقد الأكثر انتشاراً واتباعاً فى الهند. وقد وصفت فى الموسوعة السياسية العربية بأنها (أقرب إلى التعبير عن طريقة الحياة الهندية منها إلى أن تكون دين الهنود، وقد ظلت تقود طريقة حياتهم باستمرار منذ تأسيسها. يبلغ عدد أتباعها حالياً مئات الملايين معظمهم يعيش فى الهند. من أشهر كتبها المقدسة الفيدا والرامايانا، وهى تلقى الأضواء على طريقة السلوك التى ينبغى للهندوس اتباعها، غير أنه يبدو أن طريقة الحياة الهندوسية تسمح بقيام طبقة منبوذة من أفراد الشعب [معروفة باسم الهاريجان Harigans] وبالتالى فهى تبيح التمييز الطبقى. المصدر: الموسوعة السياسية العربية، إشراف الدكتور عبدالوهاب كيالى وكامل زهيرى (حرف الهاء).

وحجم أتباعها على رأس قائمة الديانات والمعتقدات الكثيرة المنتشرة فى الهند التى تضم الإسلام والمسيحية و(البوذية والسيخية والجينية).

أما السيخية فتعتبر أخر العقائد الكبيرة التى ولدت فى أرض الهند... تلك الأرض الخصبة لظهور (ديانات) عالمية ربما بسبب الخيال الخصب لدى أبنائها.

مؤسس المذهب أو العقيدة السيخية هو ناناك (Nanak) الذى ولد عام ١٤٦٩م وتوفى عام ١٥٣٩م.. ولد هندوسياً لأسرة تتبع طائفة هندوسية صغيرة تعرف بالبيديز (Bedis)، لكنه تأثر عندما كان يعيش فى مقتبل عمره فى قريته تالواندى[١٥] بالدين الإسلامى... كان يصوم ويصلى ويختلى بنفسه كثيراً.. وعاش مأساة الحروب المتكررة بين الهندوس والمسلمين فى موطنه البنجاب التى استمرت لقرون. وعندما درس الإسلام والهندوسية بعمق وجد نقاط تشابه كبيرة بينهما.. قرأ أدبيات كتبها مسلمون مثل فريد Farid وكبير Kabir[١٦] الشاعر الصوفى الذى تأثر به كثيراً، خاصة بدوره

---

(١٥) تقع هذه القرية قرب مدينة لاهور شمال شرقى بلاد الهند يومذاك.

(١٦) ولد الشاعر الصوفى (كبير) عام ١٤٤٠م وتوفى عام ١٥١٨م، وتأثر بالصوفية الإسلامية التى كسبت آلافاً من الأتباع بين الهنود المسلمين. وحاول (كبير) نتيجة تأثره هذا نشر فكرة جمع مختلف الأديان بعضها مع بعض. لايزال هناك أتباع لهذا الفيلسوف فى الهند، ويعتبرون أصحاب (معتقد) خاص بهم، واسمهم (الكبيريون Kabir Panthis) وهم طائفة صغيرة موجودة فى معظم الولايات الهندية تعامل كطائفة المنبوذين الهندوسية. من معتقداتهم (البعيدة عن دين فيلسوفهم الأصلى) أن الموت يعنى عودة هذا الجزء (الجسم الميت) من (الإله) إلى (الإله) ذاته، وهو أمر يثير سعادة كبيرة فى أنفسهم.. لـ (كبير) أشعار كثيرة تضم فلسفته فى الحياة ويتغنى بها الكثير من الناس. وأشعاره مكتوبة باللغة السنسكريتية.

المهم فى خلق صلة وصل بين الصوفية الإسلامية والبهاكتى الهندوسية، كما قرأ أدبيات هندوس مثل راماناند (Ramanand) ونامديف (Namdev) الذين تطرقوا فى كتاباتهم إلى التشابه والتقارب بين الإسلام و«الهندوسية». قراءاته ولّدت قناعة قوية لديه بأن بلده يحتاج إلى شخص يستطيع صهر (العقيدتين) فى عقيدة واحدة يؤمن بها أتباع العقيدتين المنصهرتين. بدأ رحلته التبشيرية بشعار: «ليس هناك هندوسى وليس هناك مسلم» [There is no Hindu; There is no Muslim]. ثم أضاف إلى نهاية هذا الشعار عبارة: «لقد اهتدينا إلى الدين الصحيح». وقال ناناك بأن الله قد تجلّى عليه فى سلطانبور بالدعوة، وكان عمره ٢٨ عاماً، عندما اختفى ثلاثة أيام وهو يستحم فى نهر بينى Beni ظهر بعدها معلناً شعاره آنف الذكر.

عمل ناناك محاسباً فى ديوان سلطانبور وتصادق مع خادم مسلم اسمه ماردانا (Mardana). وكان ماردانا هذا يضع موسيقى الكلمات التى يكتبها ناناك، والاثنان يغنيان مع الناى خلال طواف ناناك بالقرى والمناطق للتعريف بفلسفته وإرشاد الناس إلى حقيقة هدفه.

وبالفعل، وجدت تعاليم ناناك صدى كبيراً وفجّرت مشاعر وأحلام أبناء البنجاب من الفلاحين خاصة، فالتفوا حوله، وخلال سنوات تصاعدت أعداد أتباع تعاليمه. سافر ناناك إلى كل أنحاء الهند، وكان يبدأ حملته التبشيرية بالقول بـ{إن من يريد أن يحب ربه، عليه أن يتعلم أولاً حب الآخرين}.. لم يذكر ناناك أبداً أنه كان رسولاً وأن تعليمات نزلت إليه من الرب.. مستمراً

فى تركيزه على كونه معلماً (Guru) فقط.. كانت تعليماته تدعو إلى نبذ التطرف والعنصرية والعنف الذى كان طابع حكم حكام ذلك الزمان، خاصة بالنسبة للطبقات الدنيا، أو النساء بالنسبة للهندوس(١٧). كانت كلماته تدخل القلوب والنفوس بسرعة لدى البسطاء من سامعيه، وخاصة أنها كانت تحمل شيئاً من العفوية والطرافة(١٨).

ينعكس تأثر المعلم ناناك بالدين الإسلامى من خلال ملاحظة تركيزه على رفض ماتراكم على (الديانة) الهندوسية من وثنيات ورفضه لفكرة تعدد الآلهة، كذلك تشديده على أهمية الإيمان بوحدانية الله ورفض سيل الخرافات الموروثة مؤكداً على التقاء (المذاهب) الدينية فى مساواتها بين البشر ومعارضاً لنظام الطبقات المفضلة وماكان يبشّر به البعض من فضائل لنظام التمييز الاجتماعى الطبقى(١٩)، ومحدداً وظيفة المعلم (Guru) بأنه الدليل أو قائد المجتمع.

هناك الكثير ممن يصف المعلم ناناك بالمصلح الاجتماعى والدينى، وهناك من يرجع دعوته إلى فكرة توحيدية تتصف بالبساطة والنظام، وتلتقى مع

---

(١٧) Khushwant Singh The Sikhs (P. 13). Vision Books Pvt, Limited (1983).

(١٨) من الحوادث التى تصور طريقة ناناك فى إيصال أفكاره إلى الآخرين حادثة جاءت عندما كان يراقب بعض الهندوس على ضفاف نهر الكانج (Ganges) ينثرون الماء باتجاه الشمس طلباً لترطيب المتوفين من أقاربهم فى السماء، أدار ظهره وبدأ ينثر الماء بالاتجاه الآخر، ولما سئل عن سبب ذلك قال ببساطة: إنه كان يسقى مزارعه فى البنجاب، لأن من يستطيع إيصال الماء المنثور إلى أقاربه فى السماء فهو يستطيع سقى مزارعه وإيصالها إلى قرى البنجاب.

(١٩) التقت فلسفة ناناك مع العقيدتين الجينية Jainism والبوذية فى رفض سيطرة طبقة الكهنوت العليا عند الهندوس المعروفة باسم البراهماتية.

العقيدة الإسلامية. غير أن الحقيقة تقول إن ناناك لم يرفض بعض المعتقدات الأساسية للعقائد الأخرى كالتناسخ ووحدة الكون، وظل ضمن الإطار العام للعقيدة الهندوسية وإن دعا إلى وحدة الله ومنع تمثيله فى صنم أو صورة[٢٠]، إذ أن ذلك يقوم على مفهوم الفيدا الهندوسى المعروف باسم (الأومّ Om) وهو مفهوم روحى صوفى يرمز إلى المعبود الأعظم، أضاف عليه ناناك صفات الوحدانية والخلق، فصار هو الرمز (الايك) أى الواحد الذى هو واحد من أسماء الله الكثيرة عند السيخ.

يعتقد السيخيون أن ناناك قام بأربع رحلات كبيرة وفى الاتجاهات الأربعة: إلى سريلانكا (سيلان قديماً) فى الجنوب وإلى مكة المكرمة مع بغداد[٢١] فى الغرب وإلى التبت فى الشمال وإلى آسام فى الشرق... وكانت رحلاته ودوافعه فى التفتيش عن الحقيقة قد جعلته يترك عائلته (زوجته وطفليه)[٢٢] ويتشرد بحثاً عن حقيقة ماتدور فى مخيلته من أسئلة.

---

(٢٠) السيخ يعبدون إلهاً واحداً مثلما يفعل المسلمون، ويعارضون أسلوب الهندوسية الذى يتميز بالانغلاق والتمييز بين الآخرين، وهم من جهة أخرى كالهندوس يؤمنون بتناسخ الأرواح.

(٢١) بنى الهنود منذ عقود مقاماً لناناك (وليس مرقداً كما يعتقد البعض) يقع قرب مرقد الشيخ جنيد فى الكرخ يعتقد بأنه يمثل محل إقامته فى بغداد عند زيارته لها. ويزور السيخ المتواجدون فى بغداد هذا (المقام) باستمرار كما يزوره الهنود من الأديان و(المعتقدات) الأخرى.

(٢٢) اسم زوجته Sulakhani سلاكهانى من مدينة باتالا، تزوجها بناء على رغبة أهله، وكان عمرها أربعة عشر عاماً.. أما أولاده فاثنان: شرى جاند Shri Chand ولا كشمى داس Lakshmi Das.

لقد دخل المعلم ناناك تاريخ الهند من خلال [تأسيسه مذهباً استطاع أتباعه أن يؤلفوا شبه دولة قاومت أعتى الجيوش فى العالم أخصها حكم المغول وحكم الاستعمار البريطانى][٢٣].

قضى المعلم ناناك أيامه الأخيرة فى كارتاربور (فى الباكستان اليوم) حيث أقام أول معبد للسيخ قبل موته عام ١٥٣٩م ووضع لخلافته تلميذه أركاد (Guru Argad).

بعد ناناك حمل تسعة معلمين (Gurus) مهمة زعامة السيخ الذين كانوا يعتبرون كل واحد منهم ظل الله (رغم أن أبناء الطائفة لايعتقدون بأن أياً منهم هو نسخ أو تجسيد للإله {الرب}، كذلك كان كل معلم منهم يرى فى نفسه بشراً لايجوز عبادته)، وكان ينسب لكل معلم معجزة يبنى فى مكانها معبد يخصص له رهبان.

أما قصص الخوارق فقد تحولت إلى أناشيد دينية أشهرها منشور فى كتاب الحكايات المائة (ساوساكى).

للسيخ معابد لاحصر لها أهمها (معبد هاريماندر) المعروف بالمعبد الذهبى فى أمريتسار، يأتى بعده معبد نانكانه الذى أسس فى محل ولادة المعلم الأول.

آخر المعلمين كان غوبند الذى قُتل فى ولاية مهراشترا عام ١٧٠٨م بعد أن أعلن أنه خاتم المعلمين. مع ذلك لاتزال بعض فرق السيخ ترفض قبول

---

(٢٣) الدكتور على زيعور: الفلسفات الهندية، ص ١٥١ ـ إصدار دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠.

ذلك وتعتمد أسماء بعض أفرادها كمعلمين، وبموت المعلم العاشر هارغبوند أغلق باب قيادة المعلمين للسيخ، وفتح باب جديد هو باب القتال العسكرى الذى ثبّته هذا المعلم يوم عمّد بالرحيق الإلهى فى عيد الفصح خمسة من السيخ كمحاربين سماهم بالخالصة ـ أى الأطهار ـ كما أطلق على كل منهم لقب سنغ (أى الأسد) الذى لايزال يحمله كل مواطن سيخى باعتزاز، كما تحمل المواطنة السيخية لقب كاور (أى: اللبؤة) باعتزاز كبير أيضاً.

إن اعتزاز أبناء الطائفة السيخية المتناهى بأنفسهم ومعتقدهم أمر معروف لدى الجميع، ويعتقد معظمهم (إن لم يكن جميعهم) وشأنهم فى ذلك شأن اليهود بأنهم شعب مختار[٢٤]، غير أن هناك الكثير من غير السيخ ممن يصف بعضهم بالسذاجة والبساطة المتناهية.

(ب) العقيدة السيخية والأركان الأساسية لتطبيقها:

تؤمن العقيدة السيخية بالإله الواحد الأحد الخالد الذى لايوصف.. الخالق الذى ليس هو بصنم يُعبد ولا هو ببشر خارق غير طبيعى (Superhuman).. وهو الحقيقة الكبرى فى هذا العالم.. لم يلد ولن يموت ولن يحيا ثانية. هكذا يبدأ أبناء السيخ صلاتهم بتأكيد هذه الحقيقة التى وضعها ناناك المعلم الأول كأساس للعقيدة.

---

(٢٤) Khushwant Singh - The Sikhs (P.12).

إن الإيمان بالإله الواحد استمر كعقيدة أساسية لدى جميع المعلمين (Gurus) الذين خلفوا المعلم الأول الذى كان يقول لأتباعه: {إن العقل البشرى يعجز عن إدراك السر الإلهى، وإن آية وجود الرب هى المخلوقات التى هى بعض منه}.

الإله عند السيخ موجود فى كل مكان من خلال حلوله فى جميع الكائنات بحيث يراه المبصرون روحياً، والرؤيا لديهم تكون بالقلب عند التمكن من تحقيق درجة معينة من السمو الروحى بعد استغراق طويل فى التعبد والتأمل، وكلما أحسن العابد التأمل كلما أحس بقدراته على الكشف وفرصته فى الخلاص. ومرحلة الكشف هذه هى المطلوبة فى العبادات فى التواصل مع الرب، وبمزيد من المجاهدة والتمارين الروحية يتم الخلاص، وهو أقصى مايتمناه السيخى.

يطلق السيخ على الإله الواحد أسماء إسلامية وهندوسية، من أشهرها: راما Rama، هارى Hari، كوفند Govind، مورارى Murari، رب Rubb، رحيم Rahim، لكن الاسم الشائع حالياً هو Wah Guru أى المعلم الأعظم[(٢٥)].

يؤمن السيخ بعدم وجود شكل للإله أو جسم له، لذلك ينكرون إنكاراً كبيراً عبادته كصنم أو جسم، ولعدد من معلمى السيخ أشعار وكتابات تؤكد

---

(٢٥) كان ناناك يرتاح للاسمين المرادفين للإله وهما (سات كارتار) أى الحق المبدع و(سان نام) أى الاسم الحق. المصدر السابق، ص ١٢.

العقيدة أعلاه، منهم المعلم الثالث أمارداس والمعلم الأخير كوبند سنغ، دون أن نغفل ما أكد عليه المعلم الأول ناناك.

ليس فى عقيدة السيخ أيضاً عبادة أنهار أو جبال أو أماكن مقدسة.. يقول المعلم ناناك: [عبادة سراب أو خيال.. حج إلى عتبات أو أماكن.. توجه إلى الصحراء، كلها هراء فى هراء]، مع ذلك نرى السيخ يذهبون إلى أماكن ترتبط بالأماكن التى أقام فيها أو عاش فيها أو زارها معلميهم (منها مقام ناناك فى بغداد)، وكثيراً ماتجتمع أعداد كبيرة منهم فى مناسبات ميلاد أو موت سيخى معروف. من جهة أخرى نجد أن السيخ رغم عدم اعتقادهم أو إيمانهم بوجود إله ذى جسم أو شكل، إلا أنهم يؤمنون بأن الوصول إلى الرب يأتى عن طريق تنفيذ وصاياه فى حياة شريفة تخلو من الخطيئة.

ومع أن إيمان السيخ بوجود إله واحد يلتقى مع الدين الإسلامى، إلا أنهم من جهة أخرى يلتقون مع العقيدة الهندوسية (المعروفة بالكارما Karma) فى الإيمان بانتقال الروح من شخص إلى آخر لحين اللقاء بالله، وهم يؤمنون بأن أعلى أشكال الحياة هى خلق الإنسان أو شكل الإنسان[٢٦].

العبادة عند السيخ هى سلوك واجب أساس، وهم يؤمنون إيماناً مطلقاً بواجب قراءة وترديد التعاليم المثبتة فى كتابهم المقدس Granth Sahib، وهم ينصتون ويرددون الألحان الموضوعة لتعاليم معلميهم من قبل مغنين عند

(٢٦) لعل من الأمور الأكثر إزعاجاً للسيخ هى أن دستور الهند يعترف بالديانات (الهندوسية) والإسلامية والمسيحية، ولكنه لايعترف (بديانتهم)، ومن المثير فعلاً أن (ديانة) السيخ كانت مزيجاً من تعاليم ومبادىء الديانة الإسلامية والهندوسية بهدف إنهاء الصراع بين (الديانتين).

صلاتهم صباحاً ومساءً.. كما يرددون اسم الله مع تسبيحاتهم بالمسبحة، إذ يؤمنون بأن ترديد اسم الله فيه الخلاص وفيه نظافة الروح من الخطايا.

بالنسبة للمعلمين (The Gurus) فهم يعتقدون بضرورة وجود معلم يوضح الطريق إلى الإيمان، إذ أن ذلك يقطع الشك باليقين ويمنع ضياع العقل.. ولما كان كتابهم المقدس يضم تعاليم معلميهم فلابد من العودة إليه دائماً كدليل على الإيمان بالعقيدة. مع ذلك فهم يرون أهمية تلقى النصيحة من رجال دينهم، وهذا أمر شائع بينهم.

لايؤمن السيخ مطلقاً بكون معلميهم أبناء الله أو رسله، فالمعلمون العشرة اعترفوا بأنهم أشخاص عاديون لايجوز تقديسهم أو إضفاء صفة النبوة عليهم. وكان كل منهم يؤكد هذه الحقيقة بقوله: «جئت إلى الحياة بشكل طبيعى بخلق من الله كالآخرين، وسأغادر الحياة يوماً ما بأمر من الله أيضاً».

لا تؤمن الأغلبية الساحقة من السيخ بأى معلم آخر بعد معلمهم العاشر كويند، ويرون أنه ليس هناك عندهم رؤساء دينيون لطائفتهم، وكل البالغين رجالاً ونساء يستطيعون القيام بمراسم وشعائر دينهم، مع ذلك يوجد فى مدن السيخ وأماكن تواجدهم الكبيرة أناس متخصصون بقراءة كتابهم المقدس وترديد الأناشيد على جموعهم خلال تجمعاتهم الدينية.

كتابهم المقدس Granth Sahib نظّم من قِبل معلمهم الخامس ارجون، ويسمى الكتاب أيضاً بـ Adi {first} Granth لتمييزه عن أعمال المعلم

العاشر كوبند سنغ الذى يعرف باسم Dassam Granth. ويصف أبناء الطائفة كتابهم المقدس (كرانث صاحب) بأنه وثيقة دينية فريدة من نوعها. هو مصدر ومادة للتعبد.. يحترمه السيخ لكونه يضم كتابات معلميهم والأشخاص الآخرين من أبناء جلدتهم المحترمين من قبلهم.. هو بالنسبة لهم وثيقة تضم حكماً ومواعظ، وليس كتاباً يضم كلمات الإله أو الرب.

من جهة أخرى، يتمسك الفرد السيخى تمسكاً شديداً بتطبيق ومراعاة واحترام الأركان الخمسة لعقيدته.. وتبدأ كل من هذه الأركان بحرف الكاف باللغة البنجابية، أولها (الكيش Kesh) أى إطلاق شعر الرأس والذقن والشارب دون مس أية شعرة منها بمقص، وثانيها (الكانكا Kanga) أى المشط الذى يجب حمله دائماً، أما الثالث فهو (الكاتشا Kashha) السروال الذى يقترب فى طوله من الركبة فقط، والرابع هو (الكارا Karra) والذى يعنى السوار الفولاذى حول المعصم فى اليد اليمنى، أما الركن الخامس الذى يحرص السيخيون على التمسك به فهو (الكيربان Kirpan) أى الخنجر أو السيف ذو الحدّين.

جاءت حتمية تمسك السيخى بهذه الأركان عام ١٦٩٩م عندما أصدر معلمهم العاشر كوبند سنغ تعليمات تقضى بأن يسمّى كل رجل سيخى باسم سنغ Singh أى الأسد ويتمسك بالأركان الخمسة لعقيدته.

لقد أجمعت المصادر على وصف عقيدة المعلم الأول ناناك والأربعة معلمين الذين خلفوه بالعقيدة السلمية لكونها لا تؤمن إلا بالطرق السلمية

لتحقيق أهدافها، حيث تشير كتاباتهم إلى أنهم كانوا يؤمنون بأن العقيدة السيخية هى عقيدة سلام وإنسانية... غير أن تصفية (قتل) معلمهم الخامس ثم معلمهم التاسع قد دفعت إلى انقلاب فى مبادىء العقيدة، إذ تغيرت فكرة السلام [إذا ضربك أحد على خدك الأيمن فأدر له الخد الأيسر] إلى فكرة العين بالعين [لكمة بلكمة أو لطمة بلطمة] التى أكدها كوبند سنغ قبل ٣٠٠ عام بقوله: «إذا فشلت جميع الوسائل السلمية فى التصدى للاضطهاد فمن حقك أن تسحب سيفك»، ويؤمن العديد من السيخ بأن مصير السيدة غاندى جاء تطبيقاً حياً لهذه التعاليم.

٢ـ تاريخاً:

(أ) الحركة السيخية فى فترة معلميها العشرة[٢٧]:

السيخ، كما أسلفنا ذكره، عشرة معلمين أولهم مؤسس المعتقد ناناك الذى فصّلنا آنفاً جزءاً كبيراً من حياته وتاريخه.

عاش ناناك [أواخر عمره فى قرية كارتاربور (Kartarpur) التى شيّد فيها أول معبد للسيخ اسمه داراماسال (Dharamasal) ومعناه ـ موطن أو مقام الإيمان ـ تحوّل اسمه بعد ذلك إلى كاردوارا (Gurdwara)، وإلى هذا المعبد توجّه الآلاف من البشر لسماع غناء ووعظ وتعاليم المعلم الأول الداعية لتوحيد المسلمين والهندوس. وعندما مات ناناك عام ١٥٣٩م تفجرت مشكلة بين المسلمين والهندوس، حيث أصر المسلمون على دفنه بينما أصر الهندوس على حرقه][٢٨]... ترك ناناك العديد من أتباع تعاليمه من بين الهندوس وحتى المسلمين الذين تحولوا إلى أتباع لعقيدة السيخ وأصحاب لغة وثقافة وعادات وقناعات خاصة بهم.

ومع أن ناناك كان له ولدان، إلا أنه اختار لنشر تعاليمه من بعده أحد أتباعه واسمها أنكاد (Angad) وهو أمر أثار فى حينه دهشة أهل البنجاب[٢٩]. وقد اشتهر انكاد هذا (١٥٠٤م ـ ١٥٥٢م) بتنظيمه وترتيبه

---

(٢٧) ارتأينا التوسع فى الحديث عن تاريخ السيخ لعدم وقوفنا على مصادر بالعربية تتحدث عن ذلك بشيء من التفصيل.

(٢٨) وقد تم حرق جسده بعد ذلك. Khushwant Singh -The Sikhs (P.29).

(٢٩) اسم انكاد فى الأصل هو لهنا (Lehna)، وكان من مريدى ناناك الذى أعطاه الاسم الجديد وسمّاه خليفة له.

لكتابات المعلم الأول ناناك وجمعها فى كتاب أطلق عليه اسم (Gurmukhi) الذى يعنى ـ من فم المعلم ـ كذلك أسس مراكز لتدريب تعاليم مؤسس العقيدة.

قبيل موته اختار أنكاد، الذى تابع رسالة سلفه بأمانة، أحد زملائه الشيوخ وهو أمار داس (Amar Das) (١٤٧٩م ـ ١٥٧٤م) ليكون المعلم الثالث.

وخلال قيادة أمار داس للسيخ، أراد الإمبراطور (أكبر) استمالة السيخ الذين أحدثوا زلزالاً فى بنية مجتمع البنجاب وأصبح بإمكانهم نشر تعاليم معتقدهم إلى كافة أرجاء الهند بل وحتى خارجها، لذا استدعى أمار داس ومنحه قطعة أرض كبيرة فى أمريتسار. واشتهر أمار داس بتأسيسه مطبخ المجتمع السيخى وأسماه Langar ليأكل السيخ جميعاً سوية فيه.

قبل وفاة أمار داس اختار صهره رام داس Ram Das (١٥٣٤م ـ ١٥٨١م) ليكون المعلم الرابع، ورام داس هذا هو الذى شرع ببناء قطعة الأرض فى أمريتسار كمدينة لأبناء طائفته حملت فى الأول اسم مؤسسها Ram Das Pura، كما سميت Chak Ram Das قبل أن يستقر اسمها على أمريتسار Amaritsar وفيها بدأ السيخ بناء معبدهم الذهبى عام ١٥٧٥م.

خلف رام داس ابنه أرجون Arjun (١٥٦٣م ـ ١٦٠٦م) كمعلم خامس، كانت له رفيقة مسلمة اسمها ميان مير Mian Meer. وضع أرجون حجر الأساس للمعبد المعروف باسم هاريماندير Harimandir (أى معبد الإله)،

واتخذ خطوات تعطى السيخ أحاسيس وقناعات تامة بكونهم مجتمعاً (طائفة) خاصاً يختلف عن مجتمع المسلمين والهندوس، كما جمع ما كتبه المعلمون قبله وأضاف إليه كتاباته ليكون فيما بعد ما أصبح يُعرف بالكرانث صاحب Granth Sahib[٣٠]. وهو الكتاب المقدس الأساسى للسيخ الذى يضم حوالى ٧٠٠٠ ترنيمة يقرأه أتباع المعتقد يومياً ويعتبر الشىء المادى الوحيد الذى يعبدونه.

أكبر مشاركة لأرجون فى تاريخ أبناء جنسه هو موته فى مايس عام ١٦٠٦م على أيدى سجّانيه تعذيباً فى زمن حكم الإمبراطور جهانكير (حكم مابين الأعوام ١٦٠٥م ـ ١٦٢٦م) بسبب تحالفه مع ابن الإمبراطور الأمير خسرو الذى كان يطمح إلى نزع السلطة عن والده.

كان أرجون متطرفاً فى عدائه للمسلمين والهندوس فى تقدير الكثيرين، فكثيراً ماهاجمهم وأهانهم، يؤكد ذلك كتاباته المعروفة بكراهيتها وعدائيتها الشديدتين.

ويشير العديد من المطّلعين والكتّاب إلى أن أفعال أرجون فتحت الباب أمام انتقال السيخ من أناس مسالمين إلى محاربين متطرفين.

المعلم السادس هو هاركوبند Hargobind ابن أرجون، والذى اختاره والده خارقاً بذلك تقاليد أسلافه.. وتقول معظم المصادر أن التحول الحقيقى فى جعلهم طائفة محاربين لم يأت فى عهد هاركوبند أو والده أرجون، وإنما

(٣٠) المصدر السابق، ص ١٤.

جاء في زمن معلمهم العاشر والأخير كوبند سنغ، والذى سيأتى ذكره لاحقاً.

وبالنسبة للمعلمين السابع هار راى Har Rai والثامن هار كيشان Har Kishan فقد كانت فترة زعامتهما الدينية لأبناء طائفتهما فترة عادية لم تشهد الكثير من المتغيرات أو الإنجازات ذات الأثر التاريخي.

المعلم التاسع هو تيغ بهادور Tegh Bahadur الذى ذاعت قصة استدعائه إلى دلهى من قبل إمبراطور المغول الذى كان يحكم البلاد ذلك الوقت، وعند مقابلته للإمبراطور وضعه الأخير بين خيارين: إما إشهار إسلامه أو الموت. وتقول أساطير السيخ بأن تيغ بهادور [عرض على الإمبراطور استعداده القيام بمعجزة تحول دون إمكان أى سيف قطع رقبته، وهنا قام بالكتابة على ورقة صغيرة لفها حول عنقه، فلما قطع عنقه فتحت تلك الورقة التى كتب فيها هذه العبارة: «لقد سلّمتكم رأسى ولم أسلمكم أسرارى !!!](٣١).

أما بالنسبة للمعلم العاشر والأخير كوبند Gubind فقد استلم المعلمية وهو فى التاسعة من عمره.. قضى سنوات طفولته فى منطقة باتنا Patna التى ولد فيها. درس اللغتين الفارسية والسنسكريتية فى سنوات شبابه كما تعلم فنون الحرب. بعد ذلك أخذ فى تنظيم محاربين سيخ وهو فى مدينة أناندبور Anandpur الواقعة على سفوح جبال الهملايا. وكان كوبند يعرف

---

(٣١) المصدر السابق، ص ١٥.

أن مهمته ليست بالسهلة فى تغيير حياة السيخ من أناس مسالمين يتبعون عقيدة المعلم الأول المسالمة إلى محاربين أشداء، لذلك درس لهم إضافة إلى دروس استعمال السلاح، أهمية ودوافع استعمال العنف والقوة حسب مفهومه المعروف بشرعية سحب السيف عندما تفشل جميع الوسائل الأخرى فى الحصول على الحق.

وفى ١٣ نيسان (أبريل) عام ١٦٩٩م، قام كوبند بتجميع أعوانه فى مدينة أناندبور، واختار خمسة من هؤلاء الأتباع عرفوا باسم (الأحبّة الخمسة) معمّداً ومباركاً إياهم كأعضاء أساسيين فى حركة المحاربين التى أطلق عليه اسم خالصة Khalsa أى الأنقياء. وجعل هؤلاء الخمسة المنحدرين من مختلف الطبقات الهندوسية يشربون البول من وعاء واحد بعد أن خلط هذا البول بخنجر ذى حدّين، وجرى ذلك فى احتفال صحبته الأغانى أطلق خلاله المعلم كوبند اسماً جديداً عليهم هو سنغ Singh (أى الأسد) كلقب لكل سيخى ينتسب لطائفة المحاربين، كما أخذ عليهم عهداً أقسموا عليه بأن يحافظوا على خمس مسائل يبدأ كل منها بحرف الكاف K وهى الكافات الخمسة [الشعر الطويل والمشط والسوار والخنجر والسروال] التى وردت الإشارة إليها فى مكان سابق من هذا الفصل. كذلك طلب من مجموعة المحاربين التقيد بأربعة ضوابط هى:

١ ـ عدم قص أى شعر فى أجسامهم.

٢ ـ الامتناع عن أكل أى لحم مذبوح بالطريقة الإسلامية (مايعرف فى الهند بلحم حلال).

٣ ـ الامتناع عن التدخين أو علك التبغ وعن شرب الكحول.

٤ ـ السيطرة على الشهوات الجنسية وتحريم هتك الأعراض أو ممارسة أي اعتداء جنسي.

وبعد أن بارك كوبند المحاربين الخمسة جرت مباركته هو شخصياً من قبل الخمسة، وانتهى الاحتفال التاريخي هذا بتلاحم أيدي الستة معلنين شعاراً جديداً يقول: {الخالصة هو اختيار الإله، ونصرهم هو نصر لله}.

تفسيرات عدة أعطيت لاحتفالية التعميد هذه، إحداها تقول إن جعل الناس من مختلف الطبقات تشرب البول من وعاء واحد هو لكسر تقليد هندوسي متطرف يقول بأن أي طعام أو مشروب ملموس من قبل الطبقات الدنيا يجعله ملوثاً. كذلك فإن إطلاق اسم (سنغ) على الجميع يعني إلغاء الألقاب التي كانت تعرّف بعض الطبقات والأشخاص من خلالها بحيث يجعل جميع الـ(سنغ Singh) عائلة واحدة.. وسيصبح اسم سنغ لقب كل عائلة سيخية، كما سيطلق على اسم كل امرأة سيخية صفة Kaur (أي أميرة أو لبؤة).

بعد ذلك أعلن انتهاء فترة المعلمية Guruship للسيخ التي شغلها عشرة معلمين فقط، وطلب من السيخ اتباع كتابهم كدليل أساسي لحياتهم وتصرفاتهم. ومع أن كوبند كان كاتباً كبيراً إلا أنه لم يدخل أي قول من أقواله في كتاب السيخ المقدس المعروف بـ Granth Sahib، إذ جمع أقواله في كتاب آخر عنوانه (كتاب المعلم العاشر).

لم تلق أفكار كوبند المتطرفة قبولاً من جميع أبناء المنطقة الذين آمنوا بأفكار وتعاليم المعلم الأول السلمية، وأطلق على رافضي أفكار كوبند اسم (Sahaj Dhari Sikhs) قدّر عددهم فى حينه بالملايين من أبناء البنجاب من الهندوس وأهالى السند الذين تحولوا للسيخية.

استمر كوبند بتعبئة مجموعات مقاتلة من أتباعه، زادهم بمرتزقة من طائفة الباتان.. وخلال استعداداته العسكرية أخذ بمهاجمة بعض جيرانه من المهراجات، وهو أمر أثار بعض حكام المقاطعات من المسلمين الذين أخذوا يخشون امتداد اعتداءات كوبند عليهم، لذلك قام بعضهم وأخصهم حاكمى سرهند Sirhind ولاهور Lahore المسلمين بحصار منطقة زعامة كوبند فى أناندبور التى سقطت بعد ثلاث سنوات من الحصار والقتال الدامى هرب على أثرها كوبند وألقى القبض على والدته التى ماتت من الحزن وأعدم ولداه البالغان من العمر التاسعة والعاشرة بأمر من حاكم سرهند. بعدها وفى جامكور Chamkur حاصر المغول مرة أخرى كوبند وجنوده حيث انفجر القتال وهرب كوبند متنكرا بملابس المقاتلين المسلمين وقُتل ولداه الباقيان.

لم تثبط هذه الهزائم من عزيمة كوبند فى القتال، إذ ظهر فجأة مع جماعة من مقاتليه فى منطقة مكتسار Muktsar قرب فيروزبور حيث استطاع إيقاف زحف قوات المغول والانتصار عليهم. واستمر تنقل كوبند ومساعديه من مكان إلى آخر فذهب إلى دلهى ومنها إلى الجنوب حيث انضم إلى الإمبراطور المغولى بهادور شاه Bahadur Shah الذى طلب المساعدة لمحاربة إخوته المعادين له.

لم تحرز المسيرة العسكرية فى عهد كوبند أية انتصارات حربية مهمة، عدا معارك بسيطة ومحدودة جداً نجح فيها.. بل وصفت هذه المسيرة بقتال يائس لقوات صغيرة أمام جحافل كبيرة من أعدائه، لكن السيخ يصفون إصراره على مقاتلة أعدائه بإخلاصه المتناهى فى حماية أبناء طائفته من المعادين لها، ويشيرون بهذه المناسبة إلى أن جموع المقاتلين المنضوية تحت قيادته كانت عبارة عن مزارعين بسطاء ورجال أعمال صغار آمنوا بضرورة الوقوف بوجه التعسف والظلم الواقع عليهم من أعدائهم وأخصهم المغول.

قضى كوبند أيامه الأخير فى ديكان Deccan مع الإمبراطور بهادور شاه الذى قرّبه كصديق عزيز عليه، وفى مدينة صغيرة تدعى نانديد Nand-ed قُتل كوبند على يد أحد أتباعه من المسلمين.

لم يترك المعلم كوبند صاحب الانقلاب الكبير فى حياة السيخ أى مملكة، لكنه وضع أساس [مسيرة نضال السيخ وتقاليد قتالهم ضد أعدائهم وظالميهم(٣٢)] كعقيدة ثابتة يحملونها عبر الأجيال، وتختصر هذه العقيدة بشعار {إن الموت فى ساحة المعركة هو أسمى هدف}.

وبموت كوبند سنغ توقفت سلسلة المعلمين وانتهى عهد حصر زعامة السيخ برجل واحد(٣٣).

---

(٣٢) استقينا هذه العبارة مما ذكره لنا العديد من معارفنا السيخ خلال فترة عملنا فى الهند.

(٣٣) قال كوبند سنغ إنه آخر معلم ولن يكون بعده معلم، كما قال قبل وفاته إن كتاب السيخ المقدس Granth Sahib هو الذى سيقود السيخ فى المستقبل.. لذلك أصبح معروفاً إطلاق اسم المعلم على الكتاب المقدس وأصبح يُعرف بـ Guru Granth Sahib.

(ب) حكم السيخ لإقليم البنجاب[٢٤]:

عندما كان كويند سنغ (المعلم العاشر) في منطقة ديكان، التقى بهندوسي اسمه لاجمان داس Lachman Das أصبح بعد ذلك من أتباعه، باركه كويند سنغ وأعطاه اسماً جديداً هو باندا سنغ بهادور Banda Singh Bahadur وعيّنه كقائد لجماعة الخالصة (المحاربة).. ترك باندا منطقة ديكان وجاء إلى البنجاب ليدعو السيخ إلى حمل السلاح... كان السيخ عندها متعطشين للثأر من قاتلي معلمهم كويند وأطفاله. حالاً لبّى السيخ دعوة باندا فحملوا السلاح وتحت قيادته اجتاحوا المناطق الجنوبية الشرقية واحتلوا مدينة سرهند (عام ١٧١٠م) حيث قاموا بهدم بيوتها بل بإزالتها تماماً ثم قاموا بالقبض على حاكمها الذي اتهم بقتل أولاد كويند وجمعوا سكان المدينة حيث قتلوا جميعهم بالسيف. ومن سرهند اتجهت قواتهم شمالاً محتلة مناطق عدة ومنها انتقلت إلى جنوب شرق هذه المناطق لتصل أخيراً إلى منطقة ساهارانبور Saharanpur بعد أن عبرت نهر يامونا .. وخلال تقدم قواتهم كانوا يأسرون المغول ويقتلون حكامهم وتابعيهم من الموظفين وينهبون مايقع تحت أيديهم.. وبسبب انتصارات مقاتلي السيخ أصبح باندا وخلال فترة قصيرة لاتتجاوز السنتين حاكماً مطلقاً لمعظم مناطق البنجاب.

---

(٢٤) استقينا هذه المعلومات الواردة في هذا القسم والقسمين التاليين من نفس المصدر السابق، ص ٢٤ ـ ٣٠.

سمع مسلمو شمال الهند بما تقوم به قوات السيخ جنوب مناطقهم، فأعلنوا الحرب المقدسة (الجهاد) ضد السيخ.. وقام الإمبراطور المغولى بهادور شاه أولاً بإعلان وقف قتال قواته ضد جماعات الراجبوت Rajputs والماراثا Marathas وعاد إلى عاصمته ليعلن بدء الحرب ضد العصاة السيخ (طلب عندها من جميع الهنود غير المسلمين العاملين فى أجهزة الإمبراطورية حلق لحاهم)، فتوجهت قوات الجيش المغولى نحو البنجاب لتحيط بقوات العصاة، الأمر الذى دفع باندا وقواته إلى التراجع إلى المناطق الجبلية من الأراضى التى كان يحتلها.. لكن سرعان ماعاد إلى هذه المناطق بعد أن انسحبت منها بعد حين قوات بهادور شاه..

انقلب الوضع ثانية عندما خلف فاروخ سيار Farrukhsiyar الإمبراطور بهادور شاه، فأمر حاكمى لاهور وجامو بضرب قوات السيخ التى يقودها باندا.

وعندما انفض الكثير من مقاتلى السيخ عن باندا، بعد أن شكّوا بأنه يحاول أن يكون المعلم الحادى عشر لأبناء الطائفة، استطاع المغول محاصرة باندا وماتبقى من قواته وتعريضهم للهلاك بسبب الجوع، الأمر الذى دفع باندا للاستسلام فأُلقى القبض عليه وعلى أفراد عائلته وأتباعه من المحاربين (بلغت أعدادهم بضعة مئات) ونقلوا إلى دلهى، حيث تذكر مصادر السيخ بأنهم تعرّضوا لأنواع من التعذيب قبل قطع رؤوسهم علناً يوم ١٧١٦/٦/٩م، وتذكر نفس المصادر بأن باندا قد أُمر بقتل ابنه الصغير بيديه قبل أن يُقطع رأسه.

بعد ذلك، ولعدة سنوات، قاسى السيخ كثيراً، خاصة بعد أن أصدر حكام البنجاب أمراً بقتل كل من يطيل لحيته وشعره، كذلك دُمّر تدميراً كاملاً معبد السيخ فى أمريتسار بعد قتل الآلاف من السيخ، الأمر الذى اضطر الباقين منهم إلى الفرار واللجوء إلى سفوح جبال الهملايا(٣٥).

دارت عجلة التاريخ مرة أخرى لتخدم السيخ وقضيتهم.. إذ ثارت ضد المغول وبنفس الوقت قبائل الجات Jat الساكنة قرب دلهى وجماعات الماراثا فى الجنوب، لتقلق مضاجع حكام المغول، ثم لتمتد عام ١٧٣٨م إلى غزو قوات نادر شاه وتدميرها لدلهى.. واستمرت الأوضاع ضد المغول تتصاعد بعد أن قامت قوات أحمد شاه عبد على بسلسلة من الغزوات مابين الأعوام ١٧٤٨م ـ ١٧٦٨م وتوجه الضربات الماحقة مع قوات نادر شاه لقوات المغول من جهة ولثورات قبائل الجات والمارثا من جهة أخرى. وكانت من أهداف هذه الغزوات تعرية حكام البنجاب المسلمين من القوة. وحاول السيخ فى أول الأمر إظهار رغبتهم فى عدم التدخل فى هذه الصراعات، وأن دورهم هو دور المتفرج (المرتاح)، غير أن نادر شاه الذى كان يعلم بقوتهم المخفية، حذّر حكامه الجدد مما يخفيه السيخ من نوايا فى استعادة حكمهم على مناطقهم.

ولم يكن نادر شاه مخطئاً فى تقديراته، إذ بدأ المقاتلون السيخ بعد فترة بتوجيه الضربات إلى قوات عبد على، واستطاعوا ثلاث مرات احتلال مدينة

---

(٣٥) تحدثت عن هذه التفاصيل كتابات سيخية فقط، لم نطّلع على مثيلتها فى الكتابات الأخرى التى راجعناها بصدد هذا الموضوع.

لاهور فى الوقت الذى كانت فيه قوات عبد على منشغلة بسيطرتها على المناطق الأخرى... انتبه عبد على لخطورة هذه الضربات، فوجّه لقوات السيخ فى منطقة Malerkotla ضربة قاصمة فى ١٧٦٢/٢/٥م وقتل منها حوالى العشرين ألفاً لتحتل بذلك صفحات أليمة فى تاريخ السيخ، لازال أبناؤهم يتذكرونها حتى اليوم ويطلق عليها اسم المذبحة الكبرى Wadda Ghallughara، رغم أنها لم تستطع القضاء على أحلام وتصميم السيخ فى تولى أمر شؤونهم بأنفسهم، فبعدها بشهور استطاع مقاتلو السيخ من هزيمة الأفغان قرب أمريتسار واحتلال جنوب البنجاب. بعدها بسنتين عادت قوات عبد على محاولة القضاء عليهم، إلا أنها فشلت بعدما استطاعت قوات السيخ قرب مدينتهم المقدسة دحرها وإجبارها على الانسحاب.. وفى آخر غزوة لعبد على للهند عام ١٧٦٨م قام المقاتلون السيخ بإلحاق الهزائم بهذه القوات ودحرها ومتابعتها حتى بيشاور وتدمير قسم كبير منها ثم التمكن من احتلال شمال البنجاب أيضاً والسيطرة عليه.

ويعزو الكثيرون أسباب انتصارات مقاتلى السيخ وتنامى قوتهم إلى القيادات الجيدة والمنظمة عندهم والتى استطاعت بناء أسس جديدة لقواتهم، مثل القائدين نواب كابور سنغ وجاسا سنغ اهلوواليا..

كان للقائد نواب كابور سنغ فضل كبير فى تنامى قوة السيخ، إذ وجد أن طبيعة قتال قواته ضد المغول والآخرين من الغزاة تستدعى تقسيم القوات إلى اثنتى عشرة وحدة مقاتلة (مليشيا) مستقلة تحتوى كل منها على عشرين

ألف خيّال تقريباً يصنّفون كرأس حربة أساسية فى القتال، يأتى بعدهم بضع مئات من المقاتلين الآخرين.. كانت الميليشيا هذه فى بادىء الأمر تعكس وحدة ديمقراطية بين المقاتلين، إذ تسمح لكل مقاتل بأن يدلى بصوته كأى من الضباط أو القادة.. وكانت هذه المجموعات المقاتلة تجتمع فى السنة مرتين فى مدينة أمريتسار.. الأولى فى أعياد الربيع والثانية فى أعياد الخريف لتناقش سياساتها الناجحة أو تتعرف على أخطاء هذه السياسات وترسم فى نفس الوقت سياساتها المستقبلية.. ولم يكتف السيخ بمحاربة أعدائهم من المغول أو الأفغان، بل عملوا على ترسيخ قبضة يدهم على المناطق التى استولوا عليها.

بعد وفاة نواب كابور سنغ، انتقلت قيادة الميليشيا إلى جاسا سنغ اهلوواليا الذى وجد أن بإمكان قواته أخذ مدينة لاهور وجعلها عاصمة له، فنجح فى ذلك، الأمر الذى شجعه على المضى قدماً فى تحقيق أحلامه بالسيطرة على مناطق أخرى، فاستطاع مد سيطرة السيخ على مناطق كبيرة ضمت الأراضى الواقعة بين جبال الإندوز Indus فى الجنوب إلى نهر الكانج Ganges فى الشرق ومن جبال الهملايا فى الشمال إلى صحارى السند فى الجنوب.. وكان من الأحداث المهمة فى هذه الفترة هى ضرب عملة نقدية للسيخ.

بعدها لم يستطع السيخ الاحتفاظ بطابع الديمقراطية والوحدة الذى ساد مجتمعهم لفترة من الزمن، إذ بعد تملكهم الأرض أخذت الانقسامات تدب

فى صفوفهم وأخذت الطبقية طريقاً بين الأسر السيخية الحاكمة مما أدى فى النهاية إلى التقاتل بينهم بسبب المصالح.. واستمرت هذه الصراعات لحين مجيء بطلهم القومى رانجيت سنغ Ranjit Singh الذى بادر فى بداية حكمه إلى حل قوات الميليشيا ثم تأسيس مملكة السيخ الموحدة والقوية.

(جـ) رانجيت سنغ ومملكة السيخ(٣٦):

يأتى رانجيت سنغ Ranjit Singh كأشهر شخصية فى تاريخ السيخ، ولا ينازع شخصيته البطولية لدى السيخ أى من الشخصيات السيخية الكبيرة، كما تشير لذلك معظم المصادر، مع أن الباقى منها تشير إلى أن رانجيت سنغ يقف جنباً إلى جنب مع البطل القومى كو بند سنغ (المعلم العاشر) كأشهر شخصيتين محاربتين مناضلتين لنيل حقوق السيخ.

ورث رانجيت سنغ مقاطعة كبيرة فى إقليم البنجاب بعد مقتل والده فى إحدى المعارك عندما كان عمره عشر سنوات(٣٧)، أما بقية الأراضى التى امتلكها فقد سُجلت بعد زواجه باسمه واسم والد زوجته سادا كاور Sada Kaur المعروفة بذكائها وقوة شخصيتها.. وقد استلم إدارة جميع أملاكه عندما بلغ السابعة عشر من عمره.

---

(٣٦) يأتى تخصيصنا لبحث خاص عن رانجيت سنغ ومملكة السيخ لاعتقادنا بأهمية هذا الموضوع فى تاريخ الحركة السيخية وتطور مسارها.

(٣٧) لم نقف فى أى من المصادر التى راجعناها على تاريخ ميلاده.

عُرف رانجيت سنغ بطموحه الكبير وتخطيطه الذكى للحصول على ما كان يخطط له كما عُرف باستغلاله الجيد للفرص المتاحة له. فى تموز (يوليو) ١٧٩٩م غادر رانجيت سنغ مدينته كوجرانوالا Gujranwala ليحتل لاهور ويجعلها عاصمة له، بعدها استلم قيادة القوات المعروفة باسم Sarbat Khalsa، وأكد قيادته المطلقة لأبناء طائفته عند استيلائه عام ١٨٠٢م على أمريتسار معيداً فيها بناء معبد هاريماندير الكبير (المعبد الذهبى) بالمرمر وتغطية قبته بالذهب[٣٨]، واستمر رانجيت بضم أراضى إلى سلطته إلى أن وضع يده على كامل المنطقة الممتدة بين الإندوس Indus وسُتليج Sutlej. وعندما أراد التوسع خارج سُتليج إلى منطقة جامونا ليضم المناطق التى كانت للسيخ سابقاً وقف الإنكليز (التى كانت قواتهم تحتل الهند) أمام أطماعه فى التوسع.. وحيث إن رانجيت عرف حدود وقدرات قواته فقد اكتفى بما حصل عليه ووقّع معاهدة صداقة مع القوات الإنكليزية عام ١٨٠٩م.

كانت أول المشاغل لدى رانجيت هى تحديث جيشه، واستخدم لذلك أسلوب الحصول على أفضل المقاتلين دون أخذ دينهم أو طبقتهم فى الاعتبار، فانضمت إلى قواته مجموعة من الكَركَة Gurkhas والبيهار Biharis والأوريا Oriyas والمسلمين البنجاب والباتان Patans إضافة إلى السيخ طبعاً.. كذلك استأجر حوالى مئة أجنبى من جنسيات فرنسية

---

(٣٨) دوّن اسم رانجيت سنغ بشكل منقوش فى المعبد.. ولايزال ذلك واضحاً إلى يومنا هذا.

وإيطالية وألمانية ويونانية وأيرلندية لتقوية جيشه مع إنه لم يأتمنهم ولم يمنحهم الثقة الكاملة، وكان يصرّح بذلك، وقال فيهم كلمته المشهورة: [كل أولاد الزنا هؤلاء من الألمان والفرنسيين والإنكليز يتشابهون!!!].

جاء التاريخ ليؤكد صحة توقعات رانجيت، إذ لم يقف أي من هؤلاء الأجانب إلى جانب السيخ فى الحروب السيخية ـ الإنكليزية التى اشتعلت بعد عشر سنوات من وفاة رانجيت سنغ، بل حصل العكس، إذ عرض الضباط الأجانب هؤلاء على البريطانيين خدماتهم فى هذه الحروب.

ومن المصادفة أن يكون جميع القادة الذين استخدمهم رانجيت لقيادة قواته من البنجاب ومن مختلف الأديان والعقائد.. كان ضمنهم مسلمين مثل القائد (الكولونيل شيخ باسوان)، كذلك برز من مساعديه (فقير عزيز الدين) وأخواه الذين عملوا ككبار مستشاريه للشؤون الخارجية والدبلوماسية، ودراجا ديناناث الذى استلم فى حينه الشؤون الإدارية والمالية.

من الأحداث البارزة خلال حكم رانجيت سنغ كان مايلى:

■ عندما طُرد شاه شوجا حاكم أفغانستان من مقر حكمه فى كابل، طلب المساعدة من رانجيت سنغ لإعادته إلى مقر حكمه.. غير أنه وقبل وصوله إلى رانجيت سنغ أُلقى القبض عليه وأُرسل مسجوناً إلى كشمير.. عندها استطاعت قوات رانجيت تخليصه من الأسر وهزم قوات أعداءه. وقد قدّم شاه شوجا الماسة الشهيرة [Koh-i-noor Diamond] هدية إلى رانجيت ثمناً لمساعدته.

■ عـام ١٨١٨م اسـتطاع رانجيت سنغ احتـلال منطقة ملتان Multan والمناطق المحيطة بها.

■ استطاع عام ١٨١٩م ضم جميع أراضى كشمير إلى مملكته.

■ قضى فى عامى ١٨٢٢ ـ ١٨٢٣م على الانتفاضات الدينية لأعدائه من الأفغان والباتان فى المناطق المحيطة بمملكة السيخ واستطاع توسيع حدود سيطرته إلى مضيق خيبر.

■ لم يسـتطع رانجـيت سنغ تحـقـيق حلمـه فى ضم مناطق السند إلى مملكته، فقد وقف الإنكليز حائلاً دون ذلك. ومرة أخرى استطاع الإنكليز بعد مباحثات شاقة معه إجباره على توقيع معاهدة عام ١٨٣٨م تثبّت حدود مملكته.

توفى رانجيت سنغ عام ١٨٣٩م واعتبر من ذلك الوقت وحتى اليوم البطل القومى الأسطورى الكبير فى تاريخ السيخ، وهم يشبهونه بنابليون بونابرت بالنسبة للفرنسيين. أصيب رانجيت بالجدرى وفقد إحدى عينيه، وزاد ذلك من دمامته إذ كان صغير الجسم داكن اللون.. عرف عنه حب الخمر والنساء والخيل، واشتهر بوفائه لقضية شعبه ـ قضية السيخ ـ. استطاع بعد تصفيته لقوات الميليشيا السيخية توحيدهم بما أصبح يعرف بأخوة الخالصة Khalsa Brotherhood... لم يُعرف عنه تعصبه للسيخ، فقد ضم فى كبار رجالات حكمه مسلمين وهندوس. وكهندى استطاع ـ وللمرة الأولى خلال ٢٠٠٠ عام ـ هزيمة أعداء بلاده.. أحبه الهنود لشجاعته وبسالته.. شعبيته

كانت واسعة، وكان معروفاً ببساطته، ولم تكن ملابسه فخمة كسابقيه، بل عُرف باستعمال لباس أبيض بسيط.. كان متواضعاً، وقيل إنه كان أحياناً يترك موكبه ليمسح التراب عن فقير مسلم بسيط يراه فى الشارع.. عُرف بعدالته، فلم يصدر طيلة حكمه حكماً واحداً بالإعدام.. كان شجاعاً يقود قواته بنفسه فى أحلك المواقف وأصعبها، وكثيراً ماعرّض حياته للخطر كأى جندى، لكنه كان حازماً بالنسبة لأمن مملكته، فقد رعاها بدقة وشجاعة، وكان بجانب ذلك فردى الرأى والقرار.. وكان يتوسل بكل الوسائل لتثبيت حكم مملكته، عسكرياً، دبلوماسياً، توفيقياً، إكراهياً... إلخ.

● كيف فقد السيخ مملكتهم؟

يعتبر الكثيرون أن موت رانجيت سنغ كان موتاً لمملكة السيخ، فبموته ابتدأ اهتزاز النظامين المالى والقضائى للمملكة، كذلك توقفت عملية جمع الضرائب وبدأت الشكاوى تتصاعد من كل مكان بسبب تأخر دفع رواتب المدنيين والعسكريين، وتزايدت حالات الهروب من الجيش وتفشى الفساد الإدارى بسرعة.

خلال الأربع سنوات التى أعقبت موت رانجيت سنغ، قُتل الحكام الثلاثة الذين خلفوه مع عائلاتهم ومعاونيهم: كاراك سنغ Kharak Singh ثم ابنه نانيهال سنغ Naunihal Singh وشير سنغ Sher Singh، وفى عام ١٨٤٢م جاء حكم آخر ملوك السيخ وهو داليب سنغ Dalip Singh الابن

الأصغر لرانجيت سنغ، وكان عمره ست سنوات وقد استلم الحكم مع والدته رام جندان، قبل أن يشعر الإنكليز بأن الوقت قد حان لتحقيق حلمهم منذ سنوات بإنهاء مملكة السيخ.. لذلك رتّب الإنكليز جيوشهم وزودوها بكثير من العناصر الأجنبية واستغلوا عداء السيخ وتبرمهم بحكامهم، فأحكموا حصارهم للبنجاب.. مما دعى جيش السيخ (وكانوا وحدهم دون شعب يساندهم حينذاك) بالتهيؤ لمحاربة الإنكليز.. وفعلاً بدأت الحرب عام ١٨٤٥م بمقاومة ضارية وقتال مشرف لجيش السيخ.. غير أن تمزق هذا الجيش وقلة عتاده أدت إلى هزيمته واستسلامه وتوقيعه معاهدة لاهور عام ١٨٤٦م[٣٩]، حيث فقد السيخ بموجبها نصف مملكتهم.. حاول بعدها السيخ تنظيم قواتهم وإبقاء السيطرة على أراضيهم، إلا أن الأمور استمرت بالتدهور، واضطر السيخ فى نهاية الأمر إلى الرضوخ والاستسلام فانتهت مملكتهم بتاريخ ١٠/٣/١٨٤٩م، بعدها بأسبوعين ضم الإنكليز ما كان يسمى بمملكة السيخ إلى (التاج) البريطانى.

(د) وضع السيخ بعد زوال مملكتهم:

بعد سقوط مملكة السيخ عام ١٨٤٩م تعرضت طائفة السيخ إلى أخطر مراحل تواجدها، فبضياع حلم الدولة المستقلة لدى أبناء الطائفة استطاع

(٣٩) عند انتصارها، وضعت بريطانيا أحد أكبر زعماء السيخ داليب سنغ تحت الحراسة، كما أجبرته على تسليم ماسة كوهى نور الشهيرة لها. وهذه الماسة لاتزال وحتى يومنا هذا لدى البريطانيين!!

رجال الدين الهندوس الاستيلاء على معابد السيخ وإدارتها، وأصبح مستقبل السيخ مجهولاً، الأمر الذى أدى إلى عودة عدد غير قليل من أبنائهم إلى (الديانة) الهندوسية حفاظاً على حياتهم ورزقهم. كما دفع بعدد آخر منهم إلى الاقتناع بأهمية موالاة البريطانيين والانضمام لقواتهم.

وكان اقتناع البريطانيين العميق بقوة عناصر السيخ وطبيعة قتالهم البطولى سبباً أساسياً فى تبنى سياسة ضم قوات السيخ (الخالصة) إلى الجيش البريطانى بأعداد كبيرة. وسمح البريطانيون لهذه القوات أن تبقى على معتقداتها الدينية التقليدية فى لبس العمامة السيخية وإبقاء اللحية والشعر الطويل. وفى محاولة أخرى لتعميق علاقاتهم بالسيخ وجّه الحكام البريطانيون حكام الولايات فى البنجاب إلى فتح القنوات المائية وتعبيد الطرق وإنشاء السكك الحديدية لأبناء المنطقة، لذلك لم يكن أمراً مستغرباً [أن يستمر السيخ بموالاتهم للبريطانين عند قيام الثورة الشعبية فى شمال الهند ضد البريطانين عام ١٨٥٧م][٤٠]. ويعتبر البعض أن هذا الموقف اللاوطنى عكس مشاعر ثأر السيخ من موقف الجماعات غير السيخية (وهذا يشمل فى نظر السيخ جميع الطوائف والأديان فى الهند) التى وقفت مع البريطانيين خلال الحروب السيخية ـ البريطانية فى السنوات السابقة، والتى كان تعاونها ودعمها سبباً أساسياً فى تدمير حلم السيخ فى دولة سيخية (أو كيان سيخى مستقل).

---

(٤٠) Encyclopedia Britannica (Volume 12) - P. 506. Published by Encyclopedia Britannica, Inc. 1969.

ولم تفلح محاولات طمس الهوية السيخية، فقد وقف ضدها العديد من زعماء الطائفة وكبار رجالها، كان من أبرزهم الزعيم سابها سنك (ولد فى أمريتسار عام ١٨٧٣م) الذى يعود الفضل إليه فى إعادة قوة السيخ إلى الظهور من خلال أعماله فى رفع شأن الطائفة. كذلك الحال بالنسبة لزعيم السيخ الكبير بابا رام سنغ Baba Ram Singh (١٨١٥ ـ ١٨٨٥م) وكان يعتبر واحداً من أكبر المعادين للبريطانيين وقاد حملة عصيان وتحد لهم كان منها أنه طلب من أتباعه[٤١] مقاطعة الأنسجة البريطانية وارتداء لباس خاص بهم من صنع محلى اسمه Khadi[٤٢]، بالإضافة إلى تنظيمه لمؤسسات خاصة بالسيخ لم يكن للبريطانيين مسؤولية أو سيطرة عليها كدوائر البريد والمحاكم. ولم يرق الأمر للمستعمرين فسرعان ماقبضوا على المئات من أتباع بابا رام وتم تصفيتهم ونفى بابا رام سنغ إلى بورما حيث توفى هناك عام ١٨٨٥م.

شهدت السنوات التى تلت ذلك قبول السيخ بواقعهم الجديد تحت الاستعمار البريطانى، كما شهدت تحول المئات من فقراء السيخ إلى الدين

(٤١) أطلق على أتباع بابا رام سنغ اسم كوكاس Kukas أو نامدارى Namdhari، ولازال أحفادهم يسمّون بهذا الاسم إلى يومنا هذا، ويختلفون فى لباسهم بعض الشيء عن إخوتهم السيخ من ناحية شكل العمامة ولون اللباس.. إذ يلبسون اللون الأبيض فقط، والمتشددون من طائفة السيخ لايقرّون اعتبار الكثير من النامداريين بابا رام سنغ من سلسلة المعلمين (الكورو).

(٤٢) هو لباس خاص شاع عند استعمال المهاتما غاندى له، ويقول السيخ بأن أتباع بابا رام سنغ ارتدوه نصف قرن قبل غاندى.

المسيحى.. غير أن زعماء السيخ تصدوا لهذه الحملة من خلال تأسيس مدارس ومؤسسات ثقافية لأبنائهم، كان على رأسها تأسيس كلية (خالصة) فى أمريتسار عام ١٨٩٣م، كذلك إصدار صحف كان منها الصحيفة الأسبوعية الخاصة بالسيخ Khalsa Samachar.

تعرضت الهوية السيخية فى إقليم البنجاب لكثير من محاولات طمسها وسلخها عن أبنائها.. وكانت هناك محاولات كثيرة لأبناء الطائفة لاسترجاع هذه الهوية عن طريق تثبيت وحدة موقفهم من جهة، واستمالة المستعمرين البريطانيين من خلال مد الجسور لتعاون وثيق بين قادتهم وهؤلاء المستعمرون من جهة أخرى. وحيث إن السيخ قد أفلحوا فى بعض محاولاتهم فى إبراز حركة السيخ الموحدة ثانية بقوة، فقد عمد البريطانيون إلى تثبيت سياستهم المعروفة بـ(فرّق تسُد) لتمزيق وحدة السيخ من خلال خلق طبقات ثلاث بين السيخ هى:

١ ـ السيخ النامداريين.

٢ ـ السيخ النيرانكاريين.

٣ ـ السيخ العاديين.

وبهذا التقسيم استطاعوا السيطرة على السيخ وتوجيههم لخدمة أهدافهم.

لقد تحولت الحركة السيخية ـ قبل استقلال الهند ـ من مناصرة بريطانيا إلى مناصرة زعيم الهند المهاتما غاندى، أثر خذلان بريطانيا للسيخ

وعدم تنفيذها للوعود التى أعطتها لهم خلال مشاركتهم بأعداد كبيرة من رجالهم مع الجيش البريطانى فى الحرب العالمية الأولى التى شهدت أعلى درجات ولاء السيخ للبريطانيين، إذ حارب الآلاف منهم على جبهات ألمانيا وتركيا... وذكر فى حينه إلى أن مشاركة السيخ الهنود فى الحرب بلغت عشر أضعاف مشاركة أى طائفة أو قومية هندية أخرى.

فى نيسان (أبريل) عام ١٩١٩م تردت الأوضاع السياسية فجأة فى البنجاب، خاصة عندما أمر الجنرال البريطانى داير Dyer قواته بفتح النار على اجتماع مناصر للمهاتما غاندى كان معظم حضوره من السيخ، فقتل وجرح حوالى ١٥٠٠ من المشاركين فيه.. بعد ذلك أخذت البنجاب تشهد العديد من التظاهرات ضد حكام المنطقة وضد البريطانيين وارتفعت شعارات مطالبة الاستعمار بالرحيل عن أرض البنجاب... فى إحدى التظاهرات التى قُتل فيها عدد من أبناء السيخ، أُلقى القبض على عدد من المتظاهرين كان من بينهم جواهر لال نهرو... وتقول المصادر التاريخية السيخية إن فترة الاضطرابات شهدت بالنسبة للسيخ إيداع حوالى الثلاثين ألف متظاهر ومتظاهرة منهم فى السجون وقتل حوالى الأربعمائة وجرح حوالى الألفين، إضافة إلى إعفاء حوالى سبعمائة مسؤول من وظائفهم فى القرى والمناطق السيخية، وهو أمر أدى فى النهاية إلى خسارة البريطانيين لدعم وولاء السيخ.

فى الأيام الممتدة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ١٩١٩ ـ ١٩٣٩م ابتعد السيخ شيئاً فشيئاً عن البريطانيين الذين حاولوا كثيراً استمالة السيخ إليهم من خلال بعض زعمائهم الموالين لهم، إلا أنهم فشلوا وقد اتضح ذلك فى خيبتهم فى ضم أعداد من السيخ للجيش البريطانى فى الحرب العالمية الثانية، إذ لم يفلحوا إلا بإغراء عدد قليل منهم.

عندما قاربت أيام الاحتلال البريطانى للهند على النهاية، وعندما بدأت دعوات حزب المؤتمر الهندى لاستقلال البلاد ووحدتها، ودعوات الجامعة الإسلامية بقيادة محمد على جناح للانفصال وتأسيس دولة باكستان، وضح موقف السيخ فى تأييد حزب المؤتمر الهندى خوفاً من أن الانفصال سيعنى تقسيم أرض السيخ (البنجاب) إلى جزئين فى دولتين. لذلك وقفوا ضد مناصرى تأسيس الباكستان ولعبوا دوراً كبيراً عند تفجّر النزاعات العرقية والطائفية الدموية عام ١٩٤٦م التى سرعان ما امتدت إلى معظم مناطق الهند لتبقى سنوات ثلاث قبل أن تخمد نهائياً.. وقد اضطر السيخ إلى قبول الأمر الواقع عند تأسيس باكستان فى آب (أغسطس) عام ١٩٤٧م. وعند تثبيت الانفصال لجأ حوالى ٢.٥ مليون سيخى من باكستان إلى الهند.

وفى عام ١٩٦٥م أثمر التصدى الشجاع للسيخ ضد القوات الباكستانية فى حربها مع الهند، على صدور قرار رسمى فى آذار (مارس) ١٩٦٦م بالاعتراف بالهوية السيخية فى إقليم البنجاب.

٣ ـ واقعاً:

(أ) الواقع الجغرافى:

البنجاب تعنى أرض الأنهار الخمسة [بانج يعنى خمسة وآب يعنى ماء]، وهذه الأنهار هى:

١ ـ Jhelum: جيلم.

٢ ـ Chenab: چيناب.

٣ ـ Ravi: راوى.

٤ ـ Beas: بياس.

٥ ـ Sutlej: ستليج.

تتكون أرض البنجاب حالياً من إقليمين: إقليم البنجاب الغربى الذى أصبح جزءاً من الباكستان عند الانفصال عام ١٩٤٧، وإقليم البنجاب الشرقى الذى بقى فى الهند والذى يضم اليوم ولايات ثلاث هى:

١ ـ ولاية هيماشال براديش Himachal Pradesh ومساحتها ١٠٢١٥ ميل مربع.

٢ ـ ولاية هاريانا الهندوسية Haryana ومساحتها ١٦٨٣٥ ميل مربع.

٣ ـ ولاية البنجاب Punjab ومساحتها ٢٠٢٥٤ ميل مربع.

حدود ولاية البنجاب حالياً هى كشمير فى أقصى الشمال، وفى الشمال الشرقى ولاية هيماشال براديش، وولاية هاريانا فى الجنوب الشرقى.

ويحدها من الجنوب إقليم راجستان، أما فى الغرب والشمال الغربى فتحدها باكستان.

يسكن معظم السيخ ولاية البنجاب التي يعتبرونها الوطن التاريخى لهم. ويطالب المتطرفون منهم بتحويلها إلى دولة (خاليستان) السيخية.. دولة منفصلة عن الهند تتمتع بالسيادة التامة والاستقلال (كما سنتطرق إليه فى فصل لاحق)، غير أن هناك حالياً جماعات أخرى من أبناء الطائفة لها مطالب تبتعد عن فكرة الانفصال وتنحصر بأمور من أهمها حكم ذاتى لولاية البنجاب وإعادة تخطيط الحدود الجغرافية للإقليم.

قبل الانفصال عام ١٩٤٧م كان إقليم البنجاب يضم ٢٩ منطقة أو مقاطعة (District) تمتد من سليمان رانج Sulaiman Range إلى نهر جمنا Jumna، وبعد الانفصال حصلت الهند منها على ١٣ مقاطعة فقط كانت تشكّل ٣٨٪ من أرض البنجاب.

لم يأت تثبيت ولايات إقليم البنجاب إلا فى آذار (مارس) عام ١٩٦٦م إثر التصدى - الذى وُصف بالشجاع - للسيخ ضد القوات الباكستانية فى حربها الخاطفة مع القوات الهندية عام ١٩٦٥، ففى ذلك التاريخ صدر قرار رسمى بالاعتراف بالهوية السيخية فى إقليم البنجاب، وأُقرّت اللغة البنجابية كلغة رسمية لولاية البنجاب، كما نص التشريع على تقسيم الإقليم إلى الولايات الثلاث التى ذكرناها آنفاً.

تضم ولاية البنجاب المناطق والمدن التالية:

- أمريتسار Amritsar (ويصفها البعض بفاتيكان السيخ).
- لودهيانا Ludhiana.
- پاتيالا Patiala.
- جالاندور Jullundur.
- أناندپور Anandpur.
- هوشياربور Hoshiarpur.
- فيروز بور Firozpur.
- بهاتيندا Bhatinda.
- كورداسبور Gurdaspur.
- كابورتالا Kapurthala.
- موكا Moga.
- سنكرور Sangrur.
- باتالا Batala.
- فريدكوت Faridkot.

أما بالنسبة لمدينة جانديكار Chandigarh فقد تم تحديدها أولاً كعاصمة لولايتى البنجاب وهاريانا[٤٣]، ثم تم تحديدها عام ١٩٧٠ كعاصمة للبنجاب فقط[٤٤] مع وعد بأن تبنى هاريانا عاصمة لها عام ١٩٧٥، غير أن عام ١٩٧٥ والأعوام التى تلته مضت دون أن يتم ذلك.

(٤٣) هذا التقسيم لم يرض فى حينه متطرفى السيخ.

(٤٤) أكد رئيس وزراء الهند الراحل راجيف غاندى أنه كان يقف مع والدته فى مسألة ضم جانديكار إلى ولاية البنجاب.

(ب) الواقع السكانى:

حيث إن الطائفة السيخية تعتبر من أحدث الطوائف وجوداً فى الهند (عمرها حوالى الـ ٥٠٠ عام)، لذلك فإن أتباعها يشكلون نسبة صغيرة من السكان لاتتجاوز الـ٢٪ فى تقدير معظم المصادر، أى أن عددهم حالياً لايتجاوز العشرين مليوناً، فى حين يذهب بعض متطرفى السيخ إلى أن نسبتهم هى أكثر من ٣٪ بالنسبة لسكان الهند.

يعتبر توزيع السيخ الجغرافى فى الهند أقل من باقى المذاهب والأديان.. حيث يتجمع ٨٥٪ منهم فى إقليم البنجاب ويشكلون بذلك ٥٥٪ من السكان، كما تشير إليه المصادر الرسمية، فى حين تشير بعض المصادر السيخية إلى أن هذه النسبة الرسمية غير صحيحة، وهى تعود إلى أواخر الخمسينيات، إذ أن النسبة الحالية تبلغ الـ٧٠٪ من السكان.

يعيش عدد غير قليل من السيخ فى العاصمة الهندية دلهى.. لهم جاليات كبيرة فى ماليزيا وسنغافورة وشرق أفريقيا (تنزانيا وكينيا خاصة) وكذلك فى المملكة المتحدة وكندا والولايات المتحدة الأمريكية.

جاءت القفزة الكبير فى زيادة عدد سكانهم فى إقليم البنجاب بعد حكم البريطانيين الذين اعتبروا مناصرة السيخ لهم فى إبعاد المسلمين عن حكم الهند واحداً من أكبر العوامل التى ساعدتهم فى تشديد الرقابة على حكم الهند، لذلك مُنحوا تسهيلات كبيرة و(كوفئوا) خير مكافأة بعد تثبيت الحكم

لبريطانيا (وكان المسيحيون الهنود يشاركونهم فى ذلك) فى منحهم امتيازات وتسهيلات كثيرة، الأمر الذى دفع بالعديد من الهندوس إلى التحول عن معتقدهم إلى المعتقد السيخى طمعاً فى الحصول على هذه الامتيازات... وفى إقليم البنجاب المعروف بكثرة مواليده من الذكور عن الإناث، كان هناك تقليد لدى العائلات الهندوسية فى أن تهدى ابنها الأول للمعتقد السيخى، حيث ترى فى هذا التقليد أفضل طريقة للحصول على التسهيلات الممنوحة لطائفة السيخ.

كان سكان البنجاب من السيخ فى النصف الأول من القرن الحالى لايشكلون سوى ١٤٪ من مجموع السكان أمام نسبة ٥٣٪ من المسلمين.. غير أنهم قفزوا فى النصف الثانى من القرن ليشكلوا النسبة الأكبر من سكان الإقليم... ونعتقد أن العامل الأهم الذى لعب دوراً فى هذه القفزة كان عامل فصل باكستان عن الهند واضطرار المسلمين إلى الهجرة إلى باكستان أمام اضطرار السيخ إلى البقاء فى الهند.

وهناك معلومات إحصائية تشير إلى أن عدد سكان الإقليم بلغ عام ١٩٩١ (٧٩٥ . ١٩٠ . ٢٠) نسمة بكثافة سكانية تبلغ ٤٠١ شخص فى كل كيلومتر مربع، وأن نسبة الزيادة السكانية بلغت خلال الفترة من ١٩٨١ - ١٩٩١م نسبة ٢٦ . ٢٠٪(٤٥).

(٤٥) The Stateman's Year - Book (129th Edition - 1992 - 93) P. 53. Edited by Brian Hunter. Published by St. Martin's Press - New York.

(جـ) الواقع الاجتماعى:

يتداول السيخ ـ وبنوع من الاعتزاز ـ أن زعماءهم قد أكدوا على مر العصور مبدأ مساواة أبناء معتقدهم فى الحقوق والواجبات، وأن للمجتمع الموحد الرافض للطبقية وأفراده قيمة ومنزلة كبيرة تنسجم مع العقيدة والتقاليد السيخية التى أوصى بها المعلمون العشرة(٤٦).. ويركز السيخ فى أحاديثهم على إدانة زعمائهم للتقسيمات الطبقية التى تمارسها بعض المجتمعات غير السيخية وأخصها الهندوسية. إلا أن الحملة والتعبئة السيخية ضد الطبقية لم يصادفها الكثير من النجاح بسبب الشك فى مصداقيتها... فهناك من غير السيخ من يؤكد حقيقة وجود فوارق طبقية تبرز بشكل واضح فى تجمعات السيخ فى المناسبات الكبيرة، إذ تشهد هذه المناسبات ابتعاداً واضحاً من العديد من أبناء الطائفة عمن يُعرف بطبقة منبوذى السيخ Sikh Harijans ومن يُطلق عليهم باللغة السيخية (Mazhbis)(٤٧) الذين لازالوا وإلى يومنا هذا يعانون كثيراً من هذه الممارسات العنصرية والطبقية المقيتة.

بين الطبقات الأخرى عدا طبقة المنبوذين السيخ لاتوجد تلك الفوارق البيّنة... اللهم إلا فى اتفاقات الزواج التى عادة ما تتم بين أبناء الطبقة

(٤٦) المعروف أن الهندوس يقسمون أبناء مجتمعهم إلى أربع طبقات مختلفة مستثنى منها طبقة المنبوذين Harijans التى لاتتمتع بأية امتيازات.

(٤٧) هذه الكلمة (مذهبية) لابد وأن تكون من أصل عربى.

الراقية من المجتمع السيخى، وهى الطبقة التى تحرص على تزويج أبنائها بين نفس الطبقة دون النزول إلى طبقات أدنى.

يقسّم المجتمع السيخى فى أيامنا هذه إلى طبقات ثلاث:

طبقة المزارعين، وطبقة غير المزارعين، وطبقة المنبوذين.. والأخيرة التى يوسم بها السيخى عند ولادته ليست فى واقعها بقسوة الطبقية عند الهندوس(٤٨).

يقود السيخ ومن ضمنهم زعماؤهم حياة عائلية تترسخ فيها تقاليد احترام العائلة وكبيرها(٤٩)... مجتمعهم كان يُعرف «بل ولايزال قسم منه» بكونه مجتمع تضامن وتكافل ومحبة واحترام، قبل أن تدخل السياسة والعنف إليه لتلق بظلها البغيض على حياتهم.. ومع أن تسعة أعشار السيخ لازالوا يعيشون فى القرى معتمدين على الزراعة، إلا أنهم لم يغفلوا أهمية تعليم الأجيال الجديدة من أبنائهم وتحفيزها وتشجيعها على مواصلة الدراسة كى تبرز فى مجال اختصاصها فى المجتمع الهندى. ولقد برزت منهم فى السنوات التى تلت استقلال الهند شخصيات استلمت أعلى المسؤوليات فى الدولة كان منها المارشال الطيار أرجان سنغ والمارشال الطيار ديلباخ سنغ اللذان استلما قيادة القوة الجوية الهندية والجنرال جاكجيت سنغ اورورا الذى وقّع عن الجانب الهندى معاهدة استسلام

(٤٨) هذا مايقوله المفكرون السيخ، ويحاول أن يدافع عنه السيخيون عند مناقشتهم.. وقد وقفنا على مثل هذه النقاشات شخصياً.

(٤٩) تشير الإحصائيات إلى أن أطول أعمار الهنود هى أعمار أهل البنجاب.

باكستان فى حرب استقلال بنغلاديش والسيد كيانى زايل سنغ الذى أصبح رئيساً لجمهورية الهند عام ١٩٨٢... كذلك يضم المجتمع الهندى عدداً غير قليل من كبار الاقتصاديين والعلماء والأدباء والكُتّاب والعسكريين [الذين تبلغ نسبتهم فى الجيش ١٠٪][٥٠] والفنانين «فى مختلف الحقول» والرياضيين السيخ[٥١]... مع أن من بين هؤلاء من لايزال يتهم حكومات الهند المتعاقبة بممارسة سياسة التفرقة ضدهم فى مجالات اختصاصهم.

(د) الواقع الاقتصادى والمعاشي:

يعمل السيخيون فى مختلف الحرف، فهناك منهم تجار وصناعيون وأصحاب مخازن وسائقو تاكسى وأطباء ومهندسون ومحامون وإعلاميون... إلخ، يحظى بعضهم بشهرة كبيرة نتيجة براعته بحقل اختصاصه.. غير أن عملهم المفضل يبقى فى الزراعة، ويقول البعض إن من أهم أسباب تفضيل أبناء السيخ العمل فى ميدان الزراعة كونه معروفاً بمردوداته المادية العالية، وأراضى إقليم البنجاب (موطن السيخ) تُعرف بكونها أخصب الأراضى الهندية على الإطلاق، وفيها نجحت تجربة الثورة الخضراء التى قادتها زعيمة الهند الراحلة أنديرا غاندى، والتى كان من نتائجها تسجيل أرقام عالية فى زيادة المحاصيل الزراعية، كان منها على سبيل المثال ازدياد إنتاج

---

(٥٠) Khushwant Singh - The Sikh, P. 11.

(٥١) ثلاثة من أصل تسعة هنود شاركوا فى وصول أول بعثة إلى قمة إيفرست فى جبال الهملايا كانوا من السيخ.. كذلك فإن ثلث رياضيى الهند المشاركين فى الدورات الأوليمبية هم من السيخ. المصدر السابق، ص ١٢.

المقاطعة من القمح ثلاثة أضعاف، وبذلك حافظت البنجاب على لقب (سلة الهند الغذائية) الذى تستحقه بجدارة.

ويرجع اهتمام السيخ بالزراعة إلى عقود مضت، وجدوا فيها ضرورة استفادتهم بشكل أو آخر من واقع عيشهم المر أمام أساليب القهر والعزلة التى كانت تُمارس ضدهم.. إذ ركزوا على إحياء مناطقهم وإنعاشها، فأصبحت أراضيهم منذ ذلك الحين أحسن أراضى الهند إنتاجاً ونوعية وأكثرها كمًا، ومع التصاعد المستمر لأرقام إنتاج المحاصيل الزراعية، كانت ترتفع أرقام شبكات الرى عالية الكفاءة التى أثمرت عن زيادة كبيرة فى حجم الأراضى المروية، وتشير الأرقام الرسمية إلى أن المناطق المروية ازدادت من ٢,٢١ مليون هكتار عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ إلى ٥,٥ مليون هكتار عام ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩.

لقد تحوَّل المزارع السيخى بفضل دخله العالى إلى ثرى فى بلد يضم مئات الملايين من الفقراء، وأخذ بعض السيخ يتحولون إلى مُلاك شركات زراعية أو صناعية كبرى.. أصبح دخل الفرد فى إقليم البنجاب أعلى ثلاث مرات من دخل الفرد العادى فى الولايات الأخرى.. وبفعل هذه السعة قدم إلى الإقليم عشرات الآلاف من العمال الزراعيين (أغلبهم من الهندوس). وتقول بعض الروايات بأن السيخ لم يرتاحوا لهؤلاء الطارئين نتيجة تهديد رفاهيتهم وامتيازاتهم، إضافة إلى خوفهم من مؤشرات الزيادة الكبيرة فى نسب ولادة الهندوس، الأمر الذى جعلهم يشعرون بأنهم قد وقعوا ضحية (مع

وقف التنفيذ) فى مؤامرة منظمة، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية فى إشعالهم الثورة ضد الحكم المركزى.

مع ذلك، لم يتوقف مسلسل النمو فى موطن السيخ، فلازالت أرقام ازدياد الأراضى المروية يصاحبها ازدياد فى معدلات الإنتاج وارتفاع آخر لأرقام المشروعات الصناعية والزراعية. وتشير المعدلات الرسمية إلى أن نسبة النمو قد ازدادت بين عامى ١٩٧١ و١٩٨١ إلى ٢٣,٠١٪، كما تشير إلى أن عدد المصانع المسجلة رسمياً قد ارتفع عام ١٩٨١ ليصل إلى ٧٣٩٧ مصنعاً تقف فى مقدمتها مصانع النسيج المعروفة بجودتها العالية.

أخيراً نقول: إن خير دليل على الواقع الاقتصادى والمعاشى المتميز لأبناء السيخ هو ندرة وجود متسولين سيخ فى بلد فيه أعداد لا تحصى من المتسولين.

(هـ) العادات (الدينية) والشعبية:

● العمامة السيخية:

شهرة العمامة السيخية (وليس العمامة الهندية كما يتصورها البعض) كزى للرأس لاتضاهيها شهرة فى العالم، اللهم إلا العقال والكوفية العربيين... والعالم كله يرسم صورة الهندى لابساً هذه العمامة وكأنه بدونها غير هندى، مع أن الحقيقة تقول بأن لبسها رسمياً يقتصر على السيخى فقط.

وهذه العمامة من الممكن أن تأتى بعدة أشكال أو ألوان[٥٢]، وتقتصر ألوان معظمها على ألوان القوس قزح، وربما تخرج عن هذه الألوان أحياناً. يلبسها السيخى لحماية شعره من السقوط (كونه لايقص شعره)، وعدم لبسها يعتبر عند أبناء الطائفة أمراً مرفوضاً خارجاً على التقاليد، كما أن ضربها أو إسقاطها عن الرأس بالقوة إهانة كبيرة... ويمكن لأبناء السيخ الصغار ارتداءها منذ بلوغهم عمر الخمس سنوات.

ومع أن لون العمامة لايعنى عند السيخى شيئاً معيناً بالذات، إلا أن العادة تشير إلى لبس كبارهم للعمامة البيضاء فى مراسم الوفاة أو التعزية ومعظمهم يعتبر ذلك أمراً واجباً، واللون الوردى فى احتفالات الزواج، أما ذات اللون الأصفر الفاقع فتلبس فى احتفالات الأعياد. وقديماً اشتهر السيخ بلبس العمامة السوداء كدليل على حزنهم على ضحاياهم (شهدائهم) عندما تحاربوا مع البريطانيين أيام استعمارهم الهند، وهناك من لايزال يفضل لون العمامة الأزرق الستيل (Steel Blue) الذى كان يلبسه جنود المعلم كوبند سنغ.

• الأسماء عند السيخ:

يحمل كل سيخى ذكر اسم (Singh) كما تحمل كل أنثى سيخية اسم كاور (Kaur)، وسنغ تعنى فى اللغة البنجابية الأسد، وكاور لها معنيان: اللبؤة أو الأميرة... مع ذلك فليس كل سنغ أو كاور من السيخ، فبعض غير

(٥٢) يبلغ طول قماش العمامة اعتيادياً ستة أمتار.

السيخ (مع أن عددهم محدود) يطلقون على أبنائهم عند الولادة هذا الاسم. فقد عُرف هذان الاسمان عند الهندوس قبل ظهور المعتقد السيخى وقبل أن يجعلهما المعلم كوبند سنغ ملزمين كأسمين للسيخى والسيخية(٥٣)، إذ كان يرمى من وراء ذلك إلى جعل السيخ يشعرون بالمساواة دون تمييز أى منهم عن الآخر، كما أن معنى الاسم قُصد منه إشعار ابن طائفته بقوته وعظمته.

هناك عادة يتبعها معظم السيخ وفى معظم الأحيان تقضى بأن يختار والدا الطفل المولود حديثاً الحرف الأول من اسم المولود الجديد من الحرف الأول من الصفحة اليسرى التي يختارونها دون تحديد مسبق من الكتاب المقدس. بعض السيخ يضيف اسم قريته أو بلدته إلى اسمه، والبعض يختار أسماء إسلامية أو هندوسية بل وحتى أسماء إنكليزية لأطفالهم، أما الأسماء السيخية الصرفة فلجميعها معانٍ كما هو الحال بالنسبة لمعانى أسماء المسلمين أو الهندوس(٥٤).

أما أصول المخاطبة عندهم، فهى تبدأ بإطلاق كلمة Sardarji (سردار) للرجل وSardania للمرأة(٥٥).. ومن اللياقة عند طبقة المثقفين وأبناء الطبقات العليا، فى حالة عدم معرفة اسم الشخص المخاطب، استعمال لقب (سردار صاحب) للرجل و(سردارنى صاحبه) للمرأة(٥٦)، أما عند أبناء الريف أو

---

(٥٣) نستثنى من هذه القاعدة طائفة سيخية صغيرة معروفة بكونها طبقة من طبقات السيخ من جماعة المعلم الأول كورد ناناك، تطلق على نفسها (Bedis).

(٥٤) يجرى تعميد أبناء السيخ عند البلوغ وليس عند الولادة.

(٥٥) يعنى ذلك باللغة البنجابية (السيد أو المحترم) ويؤنث المعنى للسيدة.

(٥٦) يستعمل اللقبين كذلك فى المخاطبة الرسمية.

أبناء الطبقات الشعبية فيستعمل لقب Bhaiji (بهايجى) أو Bhai Sahib (باى صاحب) للرجل، ويستعمل للسيدة لقب Bibiji (بيبجى) أو Bhainji (بهنجى)[٥٧].

عند الطبقات الأرستقراطية، يطلق على رئيس العائلة لقب Raja Sahib (راجا صاحب) وعلى زوجته يطلق اسم Rani Sahiba (رانى صاحبه)... كذلك يوجد عندهم ألقاب للابن الأكبر وباقى أبناء العائلة، كذلك الحال لأصحاب الاختصاصات العليا كالأساتذة والأطباء... إلخ.

- **مراسم الزواج والوفاة:**

مراسم زواج السيخ تشابه فى معظمها مراسم زواج الهندوس، عدا تقليد قراءة الكتاب السيخى المقدس الذى يجب تلاوته. ويبالغ السيخيون من ذوى الإمكانات المادية فى بهرجة احتفالات الزواج.

- **بالنسبة للوفاة:**

يحرق السيخ موتاهم كالهندوس، ويشعل نار المحرقة فى العادة ابن المتوفى أو أقرب أقربائه من الرجال.

- **تقاليد الطعام:**

السيخيون ليسوا نباتيين فى معظمهم، غير أنهم لايفضلون أكل اللحوم إلا فى الأعياد... وهم يتحاشون أكل لحم البقر كى لايستفزوا أبناء الهندوس، ويفضلون عليه لحم الغنم أو الماعز... يتناول أبناء الطائفة الكثير من الخضروات ومنتجات الألبان كما يستعملون الطحين بكثرة فى إعداد

---

(٥٧) يعنى ذلك باللغة البنجابية (الأخ) و(الأخت).

أطباقهم.. وهم «حسب معتقداتهم» لايميلون إلى المشروبات الكحولية والتدخين.

● **شعار الخالصة:**

يسمى شعار الخالصة (الأخوة السيخية) بالكهاندا Khanda.. وهو عبارة عن خنجر ذى حدين فى الوسط يحيط به حلقة حديدية أو سوار (Ring)، ويحيط بهذه الدائرة سيفان متقاطعان.

● **العلم السيخى:**

للسيخ علم خاص مثلث الشكل يغطى معظم مساحته لون الزعفران مع وجود شعار الخالصة المشار إليه أعلاه باللون الأسود داخله.. والغريب أنه مع اعتزاز أبناء الطائفة بتقاليدهم، قليلاً ما نجد هذا العلم مرفوعاً أو موضوعاً فى محلات عملهم أو بيوتهم، مع أنه موجود فى أغلب أماكن عبادتهم.

● **العبادة عند السيخ:**

يطلق السيخ على معبدهم اسم Gurdwara (كردوارا) والذى يعنى بلغتهم بيت المعلم أو (بوابة المعلم).. وعند تخصيص أى محل أو مكان لتوطين السيخ لابد من بناء المعبد أولاً، كذلك نجد آلاف المعابد فى المناطق السيخية داخل الهند وخارجها، وهناك من أبناء الطائفة من يخصص غرفة فى بيته للعبادة.

أهم ما فى المعبد هو الكتاب المقدس Granth Sahib (كرانت صاحب)، ومراسم العبادة توجب نزع الأحذية قبل دخول المعبد، وفى المعابد الكبيرة

يفرض على الداخل غسل رجليه أولاً، مع أهمية تغطية الرأس للجنسين.. وعلى المتعبد وضع نقود على قماش الحرير الذى يلف كتابهم (المقدس) ثم يركع على ركبتيه ويمسح جبهته على الأرض، وعندما ينتهى من العبادة عليه ألا يدير ظهره إلى الكتاب المقدس عند انسحابه.

هناك أربعة معابد يعطى لها السيخ قدسية كبيرة منذ زمن المعلم كويند.. يقع الأول منها فى Patna (باتنا) مسقط رأس كويند سنغ، والثانى المسمى بـ Takht Sri Keshgarh Sahib (تخت سرى كيشكار صاحب) فى أناندبور ويعتبر المعبد المقدس الثانى فى الأهمية بعد المعبد الذهبى فى أمريتسار، بسبب أن أول عملية تعميد سيخية جرت هناك، أما المعبد الثالث المعروف باسم أكال تخت Akal Takht[٥٨] والذى يشكل جزءاً من المعبد الذهبى فى أمريتسار فيعتبر أهم المعابد السيخية فى العالم، حيث تصدر منه التعليمات والتوجيهات باعتباره المركز المشرف على (الديانة) السيخية؛ آخر المعابد الرئيسية هو الذى يقع فى Nanded (نانديد) فى ولاية مهراشترا، وهو المكان الذى مات فيه المعلم كويند سنغ.

وهناك أيضاً معابد مهمة معروفة أخرى تعود أهميتها إلى كونها كانت مكاناً لولادة أو موت أو مقتل أحد المعلمين السيخ العشرة.

للسيخ دائماً خمسة رجال دين كبار يشرفون على شؤون الطائفة بأكملها ولهم مجلس يحمل صفة إصدار قرارات ذات صفة دينية، بل وفى كثير من

---

(٥٨) من أسمائه الأخرى لدى السيخ هارماندر صاحب Harmandar Sahib وداربار صاحب Darbar Sahib.

الأحيان ذات صفة سياسية كان من أشهرها [إصدار أربعة منهم بياناً في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٧ يعلن عن توحيد حركات السيخ الانفصالية في تنظيم واحد ومطالبتهم لأبناء الطائفة بدعم ـ حرب التحرير[٥٩].

● الأعياد عند السيخ:

يحتفل السيخيون في البنجاب في شهر نيسان (أبريل) من كل عام بعيد بيساخي Baisakhi.. وهو اليوم الذي أسس فيه المعلم العاشر كوبند سنغ الخالصة (الأخوة السيخية).. ويحتفل في هذا اليوم أيضاً بكتاب السيخ المقدس كرانث صاحب.. وأهم ما في الاحتفال هو الموكب الذي يقوده خمسة قياديين سيخ، ويرقص السيخيون رجالاً ونساءً طوال الليل احتفاء بالمناسبة.

كذلك يحتفل السيخيون في باقي أنحاء الهند والعالم بهذا العيد الذي يطلقون عليه أسماء مختلفة.

ومن الأعياد المهمة الأخرى عند السيخ عيد الغورو بوراب Guru Purab الذي يحتفلون فيه بعيد ميلاد المعلم الأول ناناك.. ويقضي أبناء السيخ (ويشاركهم في العادة أبناء طوائف أخرى) هذا العيد في مدينة أمريتسار يغنون ويأكلون ويرددون تعاليم كورو كرانث صاحب.

---

(٥٩) صحيفة الهيرالد تريبيون الصادرة في ١٧/١٠/١٩٨٧.

الفصـــل الثالـث

الســـيخيـة
حـركـــة دينيـــة وسـياسـية

(أ) موقع السيخ الدينى بين الطوائف والأقوام الهندية، ونظرة هذه الطوائف والأقوام للسيخ:

من الناحية العددية التقديرية، تأتى الطائفة السيخية فى الموقع الرابع من نسبة السكان فى الهند بعد الطائفة الهندوسية التى تشكل الأغلبية الكبيرة ٨٣٪، ثم المسلمين الذين يشكلون حوالى ١١٪، بعدهم يأتى المسيحيون ٣٪، ثم السيخ ٢٪ الذين تزيد نسبتهم على نسبة طوائف أخرى صغيرة الحجم (بالنسبة لسكان الهند) كالبوذية والزرادشتية.

ورغم هذا الموقع العددى المتأخر لطائفة السيخ، إلا أنه يشكل موقعاً مهماً حيوياً بالنسبة للهند، فموطن أتباع المعتقد السيخى ذا أهمية استراتيچية كبيرة للهند، إضافة إلى أهميته الكبيرة كمصدر غذاء لأبناء الهند، فهو سلة الهند الغذائية كما أسلفنا، وأبناؤه معروفين، إضافة لكونهم أفضل الفلاحين فى الهند، من أمهر الصناعيين والاقتصاديين كعمال أو كأصحاب رأس مال، علاوة على الدور المؤثر الذى يلعبه أبناء السيخ ـ

جنوداً وضباطاً ـ فى الجيش الهندى، ودورهم الكبير فى حربى الهند الأخيرتين عامى ١٩٦٥ و١٩٧١ معروف للجميع.

تختلف الطوائف والأديان الهندية الأخرى فيما بينها فى نظرتها لطائفة السيخ، ويلعب العامل النفسى للأفراد دوراً كبيراً فى تباين هذه الاتجاهات من وقت لآخر، أكثر مما يلعبه العامل الدينى أو المذهبى.

ورغم ماهو معروف من خصوصية هندية تتمثل فى تمسك الفرد الهندى تمسكاً شديداً «متطرفاً فى أحيان كثيرة» بمعتقده الدينى، يتفاوت فى درجاته بتفاوت ثقافة أتباعه.. إلا أن تغيرات الظروف من جهة والأحداث الطائفية من جهة أخرى تلعب دورها الفاعل فى تغيير نظرة أبناء طائفة دينية تجاه أبناء الطائفة الأخرى، وكما سيرد ذكره فى وقت لاحق.

إن السيخ هم أصلاً من أتباع المعتقد الهندوسى قبل تأسيس ناناك للمعتقد السيخى وتبشير تعاليمه التى اعتنقها العديد من الهندوس، الأمر الذى أبرز الخلافات لأول مرة بين طائفة الهندوس والأتباع الجدد للمعتقد السيخى، واستمر هذا الخلاف فى مد وجزر، ثم جاءت فترات لتشهد تلاحماً بين أبناء المعتقدين كما جاءت فترات اشتد فيها الخلاف بينهما إلى حد قيام المتطرفين فى كل من المعتقدين بتصفية خصومهم فى الجهة الأخرى، غير أن نظرة غلاة الهندوس (وأخصهم البراهما) تجاه السيخ بقيت ثابتة وهى عدم الاعتراف بالمذهب السيخى واعتبار أبناء السيخ جزءاً لايتجزأ من طائفة الهندوس.. وهذا أمر يرفضه جميع السيخ على حد سواء، إذ يعتبرون أن

أساس إيمانهم يختلف كلياً عن الهندوس، فهم يؤمنون بخالق واحد (رب واحد)، والهندوس يؤمنون بتعدد الآلهة.. وكثير من السيخ يذكرون أن نقاط الالتقاء بين أتباع الأديان السماوية الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية هي أكثر بكثير من نقاط الالتقاء بين الهندوسية والسيخية.. كما يشيرون إلى أن كتابهم المقدس يختلف عن عشرات الكتب المقدسة التى يؤمن بها الهندوس، رغم أن كتاب السيخ المقدس يضم بعض التعاليم والأقوال الهندوسية بين دفتيه.

إن الخلاف بين الهندوس والسيخ لم يتفجر سابقاً بالحجم الذى وصل إليه فى السنوات الأخيرة، وخير شاهد على ذلك هى التصفيات الجسدية التى قام بها متطرفو السيخ ضد الهندوس وبالعكس، خاصة فى الولايات الحساسة التى تضم أبناء الطائفتين، كما أن التصفية الجسدية للسيخ من قبل الهندوس المتطرفين عقب اغتيال السيدة غاندى تعتبر شاهداً إضافياً على ذلك.

وكما هو أمر العلاقة بين السيخ والهندوس كذلك جاءت العلاقة بين المسلمين والسيخ لتشهد تفاوتاً كبيراً ومتبايناً فى درجات لقاءها، فخلال نشوء المعتقد السيخى كان المسلمون أقرب إلى أتباع المعتقد الجديد من أية طائفة أخرى، خاصة بسبب تأثر مبشر الدعوة ناناك بتعاليم الدين الإسلامى، وخلال حكم معلمى السيخ العشرة تفاوتت العلاقة بين أبناء الطائفتين، حيث شهدت فى قسم منها تعاوناً وثيقاً والتحاماً شعبياً إلى حد

أن بعض معلمى السيخ كانوا يقودون أبناء طائفتهم بمشورة من مستشاريهم المسلمين، فى الوقت الذى شهدت فيه عصور حكم معلمين آخرين من السيخ مذابح طائفية وتصفيات جسدية ومحاولات لطمس معالم الآخرين لعب فيها متطرفون معادون للمسلمين ثم المستعمرون البريطانيون دوراً كبيراً فى تأجيج هذا الحقد لدى السيخ تجاه إخوانهم المسلمين، وتعتبر أيام تقسيم الهند (بعد الاستقلال) وتأسيس دولة باكستان ذروة الصراع بين المسلمين والسيخ بعد المذابح الشهيرة التى وقعت بين الطرفين ونزوح المسلمين من بنجاب الهند إلى باكستان من جهة ونزوح السيخ من بنجاب باكستان إلى الهند من جهة أخرى، ثم مرت سنين طوال على تأرجح العلاقة بين الطرفين إلى أن شهدت السنوات الأخيرة حالة من التفاهم والتقارب بين الطائفتين التى شعر أبناؤها بدور أعدائهم فى تأجيج الخلافات بينهما والخطر الذى يهدد حياة كليهما من متعصبين يريدون تصفية الطائفتين ويحرصون على جعل الهند دولة خالية منهما تضم الهندوس فقط وبعض الأقليات المسيحية والزرادشتيين والبوذيين.

أما نظرة أتباع الأديان والطوائف الأخرى فى الهند إلى طائفة السيخ فهى ليست بذات أهمية، حيث إن هذه الأقليات (كالمسيحيين والبوذيين والزرادشتيين) تهتم عادة بأمور أبناء طائفتها وتحاول الابتعاد كلياً عن الصراعات الطائفية المعروفة بين الهندوس والمسلمين والسيخ، وهى بذلك تنجو من المد الطائفى الحاقد، الذى لاتستطيع مقاومته مطلقاً.

(ب) موقع الحركة السياسية السيخية بين الحركات السياسية الهندية ونظرة هذه الحركات لها:

لاتشكل الحركات السياسية السيخية رقماً يذكر بين مئات الحركات والأحزاب السياسية الهندية.. غير أن نشاط معظم الحركات السياسية السيخية يفرض واقعها على الساحة السياسية الهندية بسبب خصوصية المسألة السيخية وبسبب ماهو معروف عنها من نشاط دؤوب لتحقيق غاياتها السياسية والتى تتفاوت من حزب لآخر، مع بقاء الإطار العام لهذه الحركات وهو كونها أحزاب إقليمية أسست لخدمة أهداف الحركة السيخية.

ويمكن وصف الحركة السياسية السيخية بكونها حديثة العهد، فلم يعرف ماضى الهند حركة سياسية سيخية بالأساس، بل كان أتباع الطائفة ينضمون على شكل مجموعات تحت قيادات دينية طائفية، كانت تتبنى فى شعاراتها أغراض دينية تتعلق برفع مستوى طائفة السيخ والحصول على بعض الامتيازات، مع أن قسماً من هذه الشعارات تضمنت مطالب سياسية بسيطة.

ولم تبرز الحركات السيخية سياسياً إلا بعد أن تبلورت فكرة الدولة المستقلة للسيخ والتى يُطلق عليها اسم (خالستان) ونادى بها بعض المتطرفين السيخ الذين عادوا يحلمون بدولة السيخ المستقلة التى سقطت عام ١٨٤٩م إثر هزائم جيش مملكة السيخ المتتابعة أمام جيوش بريطانيا.

لم تعر بقية الأحزاب السياسية الهندية قبل استقلال الهند اهتماماً للمطالب القومية للحركة السياسية السيخية، فقد كان هدفها الأول هو الحصول على الاستقلال.

وبعد أن انتزعت الهند استقلالها من بريطانيا تحت راية حزب المؤتمر الهندى (الكونغرس) الذى كان يضم فى حينه عشرات الآلاف من الهنود إضافة إلى تأييد الشعب الهندى المطلق لهذا الحزب ووقوفه إلى جانبه، أخذت قيادة حزب المؤتمر على عاتقها ترتيب شؤون البيت الداخلى الهندى، وخاصة أن الفترة التى أعقبت الاستقلال شهدت مأساة انفصال باكستان عن الهند، والمذابح الرهيبة التى وقعت بين المسلمين من جهة والهندوس والسيخ من جهة أخرى.

فى ذلك الحين، كان حزب المؤتمر الهندى يضم أيضاً الألوف من السيخ الذين وجدوا فى انضمامهم لحزب المؤتمر ذى القاعدة الشعبية الأوسع طريقاً لخدمة بلدهم الكبير (الهند).

غير أن بروز حركات سياسية طائفية متعصبة لجماعات من الهندوس من جهة وتنامى الشعور القومى للسيخ من جهة ثانية إضافة إلى ظهور أصوات متطرفة تنادى بالعودة للمطالبة بدولة مستقلة للسيخ تحمى السيخ تحت مظلتها من تصاعد المد الطائفى المعادى لها، دفع بالكثير من زعماء عقيدتهم إلى تبنى خط فكرى سياسى إضافة إلى الخط الدينى لدى البعض، وبدلاً منه لدى البعض الآخر، غير أن الأحزاب والحركات السياسية التى أنشأها

هؤلاء لم تحظ فى بادىء الأمر بشعبية كبيرة لدى جماهير السيخ والذين وجدوا فى نشوء هذه الحركات والأحزاب خروجاً عن الخط الوطنى الهندى.. وفضل الكثيرون منهم البقاء ضمن أطر الأحزاب الهندية التى كانوا منضمين إليها، أخصها حزب المؤتمر الهندى، وكان من رأى معظم هؤلاء إمكانية تحقيق بعض المطالب الأساسية السيخية من خلال نشاطهم فى تلك الأحزاب.. غير أن الأمور لم تجر كما توقع هؤلاء.. الأمر الذى دفع الكثير منهم إلى الانتقال إلى أحزاب وحركات سياسية سيخية محضة، تتبنى أهداف أبناء الطائفة.. كان منها الحركات المعتدلة التى استقطبت الكثير منهم، ثم الحركات المتطرفة التى وجدت شعبية لدى الجيل الجديد من طائفة السيخ.

إن تنافر هذه الأحزاب واختلاف أهدافها، قسّم أبناء الطائفة إلى أكثر من قسم وولّد عداءً لم يكن معروفاً بين أبناء الطائفة ذاتها، ولم تستطع حكمة زعماء الطائفة إيقاف التشرذم والانقسام فى صفوف السيخ، لكنها نجحت إلى حد ما فى تحجيم مشاعر العداء بينهم.

ولم يقتصر الأمر على السيخ القاطنين فى الهند فقط، وإنما شهد النصف الثانى من القرن الحالى قيام عدد ليس بالقليل من السيخ المقيمين خارج الوطن بتأسيس حركات وأحزاب سياسية تضم السيخ المهاجرين.

وليس من السهل فى هذا المجال تثبيت أسماء جميع الأحزاب والحركات السياسية السيخية الموجودة على الساحة السياسية، حيث إن معظمها

صغير الحجم والعدد والتأثير، أما أهمها فهو حزب (الأكالى دال) المعتدل[٦٠]. ويعتبر حزب الأكثرية السيخية، وحزب الدال خالسا المتطرف، وهناك تنظيم الطلبة السيخ (المتطرف أيضاً).

وتتباين نظرة الأحزاب السياسية الهندية (غير السيخية) إلى التنظيمات السيخية أعلاه، فالأحزاب الرئيسية فى البلاد (المؤتمر I، بهارتيا جاناتا، المؤتمر S، الجاناتا، الشيوعى) ترى إمكانية التحالف مع حزب الأكالى دال المعتدل (بل هى تعمل لذلك لأهمية الحصول على أصوات السيخ فى الانتخابات) واستحالة التعامل مع الأحزاب المتطرفة السيخية، وبالمقابل يؤمن حزب الأكالى دال نفسه بإمكانية التحالف مع هذه الأحزاب، التى كان قد تحالف معها فعلاً فى أوقات سابقة، رغم أن تحالفه معها قد شهد تخبطاً ملحوظاً بسبب عدم وجود أى منظور أو مبادىء ثابتة فى هذا التحالف.. فى الخمسينيات كان التحالف مع حزب المؤتمر (الكونغرس) وفى أواسط الستينيات عقد التحالف مع الشيوعيين، أما أواخر الستينيات وبداية السبعينيات فقد جاء تحالفهم مع الجانا سانغ [المتطرفين من الهندوس والذين كانوا يعتبرون من ألد أعدائهم] مفاجئاً لجميع الأوساط[٦١].. وفى عام ١٩٧٧ (الذى انهزمت فى انتخاباته أنديرا غاندى) تحالف الأكالى دال مع

(٦٠) كلمة (الأكالى) تستعمل بكثرة بين مجموعات السيخ، والأكالى يعنى الجناح السياسى فى الحركة السيخية الدينية، وهو ممثل فى الحكومة الهندية حالياً.

(٦١) فرط عقد حركة البانغ سانغ.. وحملوا بعد ذلك اسماً جديداً هو حزب بهادتيا جاناتا.

حزب الجاناتا الذى استلم السلطة فى البلاد بعد فوزه فى الانتخابات وكانت المفاجأة هى ما أظهرته عملية تشكيل حكومة حزب الجاناتا، حيث تبين أن المتشددين من حزب الجاناتا ضد إعطاء الحقوق للسيخ كانوا أكثر بكثير من حزب المؤتمر (الكونغرس) الذى ترأسه السيدة أنديرا غاندى.

أما موقف الحركات والأحزاب الإسلامية من التحالف مع السيخ فيختلف عن موقف باقى الأحزاب، إذ تعتقد تجمعات المسلمين السياسية إمكانية قيام حلف بينها وبين أى تنظيم سياسى سيخى لتشابه ظروف أبناء الطائفتين وأهمية التحامهم أمام موجات الكراهية لهم من جهة وإمكانية فرض واقعهم الاجتماعى والسياسى فى حالة تكوينهم جبهة موحدة قوية من جهة ثانية.

(جـ) الحركة الانفصالية السيخية ودور النفوذ الأجنبى داخلها:

لم تبرز الحركة الانفصالية السيخية إلا فى الستينيات من القرن الماضى، وجاءت دعوتها للنضال من أجل تحقيق حلم السيخ بوطن قومى اسمه (خالستان)[٦٢] لتعكس فلسفة غلاة السيخ التى تتلخص فى أن الطريق إلى حماية العقيدة والمحافظة عليها أمام احتمالات احتواء الهندوس لطائفتهم ومعابدهم الدينية تأتى من خلال الحصول على قوة سياسية.. والحصول على قوة سياسية لايمكن أن يتم إلا من خلال أرضية أو (وطن) يجمع أغلبية

(٦٢) خالستان: تعنى الدولة النقية (خالص: الكلمة العربية المرادفة للنقاوة، وستان: تعنى الدولة)، ومن قبيل المصادفة فإن معنى باكستان هو ذلك أيضاً.

السيخ.. والوطن هو البنجاب.. وأن سبب التمسك بالبنجاب هو شعورهم بأن إنهاءهم فى البنجاب يعنى القضاء كلياً على مستقبلهم كطائفة لها أرض؛ إذ ليس لديهم وطن آخر غير البنجاب.

ولا يقتصر حلم السيخ فى حدود دولتهم (خالستان) على إقليم البنجاب الهندى فحسب وإنما يمتد فى الواقع إلى المدن التى يتكلم سكانها اللغة البنجابية والتى لم تضم فى حينه إلى إقليم البنجاب، كما تضم أيضاً مساحة ليست بالقليلة من إقليم البنجاب الموجود ضمن حدود باكستان والتى تقع ضمنه مدينة (لاهور)، ومن الغريب أن يكون أول من دعى إلى دولة إسلامية فى شبه القارة الهندية هندى مسلم يدرس فى جامعة كمبردج اسمه جودرى رحمه على تحقق حلمه عند تأسيس دولة باكستان، وكان أول من طالب بإعادة تأسيس دولة للسيخ فى شبه القارة الهندية (وفى إقليم البنجاب بالذات) هندى سيخى يدرس فى جامعة أكسفورد اسمه كابور سنغ، حيث بدأت دعوته إلى إعادة تأسيس الدولة خلال دراسته فى إنكلترا فى فترة الستينيات، إلا أن تنظيم الدعوة الانفصالية لم يتم إلا عام ١٩٧٧، عندما أسس متطرفو السيخ حزباً جديداً أسموه بالدال خالسا، وكان الانفصال عن الهند وتأسيس دولة خالستان على رأس أهدافه، وهو ماكان يتناقض مع أهداف حزب الأكثرية السيخية الأكالى دال. هذا الحزب الانفصالى (دال خالسا) ساهم فى تأسيسه الدكتور [Jagjit Singh Chauhan] الذى عمل وزيراً للمالية فى البنجاب خلال الستينيات هاجر

بعدها إلى بريطانيا (وأخذ الجنسية البريطانية) وعاونه فى ذلك سيخى غير معروف اسمه هارسيمران سنغ Harsimran Singh الذى عُين رئيساً للحزب، وأعلن الحزب أهدافه التى تتخلص فى:

١ ـ تأسيس دولة خالستان.

٢ ـ توجيه السيخ لمعرفة ديانتهم بشكل مؤثر.

وفى عام ١٩٧٩، وبمساعدة السيخى المتطرف المعروف جارنيل سنغ بهاندرانوال، [الذى استطاع تزعم متطرفى السيخ بعد ذلك وقُتل فى المعبد الذهبى من قبل القوات الهندية التى دخلته فى حزيران (يونيه) ١٩٨٤] دخل هذا الحزب الانتخابات. والغريب أن السيدة أنديرا غاندى قد دعمت هذا الحزب فى الانتخابات فى حينه، وكان زعيم الكونغرس فى ولاية البنجاب حينذاك السيد زايل سنغ (رئيس الجمهورية فيما بعد)، وبهذا فقد دفعت السيدة غاندى لقاء مساعدتها لهذا الحزب المتطرف ثمناً غالياً أودى بحياتها بعد ذلك. كذلك قام المتطرف الدكتور Chauhan عام ١٩٧٩ بنصب محطة صغيرة للراديو فى المعبد الذهبى استخدم فيها صحفياً سيخياً متطرفاً اسمه Balbir Singh Sandhu الذى سلمه الإذاعة فى أول الأمر ثم عينه سكرتيراً عاماً للمجلس الوطنى لدولة خالستان، وفى ١٢ نيسان (أبريل) من عام ١٩٨٠ أُعلنت أسماء ١١ متطرفاً سيخياً كأعضاء فى هذا المجلس. بعد هذا الإعلان بيوم واحد أصدر Sandhu طوابع وجوازات سفر تحمل اسم دولة خالستان (طُبعت الجوازات فى كندا!!).

فى حزيران (يونيه) ١٩٨٠ أعلن Sandhu فى مؤتمر صحفى بأن حكومة خالستان ستعلن قريباً من المجلس الدينى الأعلى لطائفة السيخ Akal Ta-kht (وهى أعلى سلطة دينية سيخية) وطالب جميع الدول المحبة للسلام الاعتراف بحكومة خالستان، فى الوقت الذى حذر فيه الحكومة الهندية من اتخاذ أية إجراءات عنف ضد هذه الحكومة وإلا فستطالب حكومة خالستان من الدول العظمى مساندتها!! فى ذلك الحين كان الدكتور Chauhan قد هرب ثانية إلى بريطانيا ومن هناك أعلن فى ١٩٨٠/٦/١٦ عن تنصيب نفسه رئيساً لدولة خالستان، وذكر أنه بصدد فتح قنصليات لخالستان فى لندن وبعض العواصم الأوروبية، كما أشار إلى أنه يبحث حالياً مع الحكومة الأمريكية موضوع إعلان دولة سيخية فى المنفى، كما يبحث معها موضوع تدريب ١٠٫٠٠٠ سيخى على الفنون العسكرية لتشكيل الجيش السيخى. جاءت أول عملية شهيرة متطرفة لحزب الدال خالسا عام ١٩٨١ عندما اختطفت مجموعة من عناصرها طائرة هندية كانت فى رحلة داخلية وأرغمتها على الهبوط فى باكستان (لاهور) حيث ألقت السلطات الباكستانية القبض على خاطفيها. هذه العملية أدت إلى قيام السلطات الهندية بمداهمة مقر الحزب فى جانديكار وإلقاء القبض على عناصر الحزب فى الوقت الذى هرب فيه السكرتير العام للحزب Sandhu إلى المعبد الذهبى حيث منع زعماء المعبد الشرطة من الدخول إليه.

وبدأت أعمال العنف تتصاعد منذ الربع الأخير من عام ١٩٨١ حين بدأ متطرفو السيخ تحت قيادة بهاندرانوال حملة لقتل معادى السيخ.. وكان أول

من استهدفهم بهاندرانوال فى عمليات التصفية من سمّاهم بخونة السيخ وهم طائفة النيرانكاريين Nirankaris[٦٣] المكروهون من طائفة السيخ التى تتهم حكومة الهند بصرف الملايين عليهم لمسخ (دين السيخ) فهم فى نظر السيخ متآمرين هندوس على طائفة السيخ.

وفعلاً نجح بهاندرانوال فى أول عملية كبيرة له فى اغتيال زعيم النيرانكارين المدعو Baba Gurbachan Singh فى دلهى أواخر شهر نيسان (أبريل) ١٩٨٢، وفجأت بدأت وسائل الإعلام تشير إلى المتطرف السيخى بهاندرانوال بعناوين كبيرة بعد أن اتهمته السلطات الأمنية الهندية بتدبير اغتيال هذا الزعيم، مع ذلك كان من اللافت للنظر ألا يُلقى القبض عليه من قبِل الحكومة الهندية التى كان وزير الداخلية فيها زايل سنغ (رئيس الجمهورية فيما بعد).

بعدها تصاعدت بشكل سريع أعمال العنف والقتل والتخريب التى كان المخطط الأول لها باعتراف دوائر الشرطة والأمن هو المتطرف بهاندرانوال والذى اضطر إلى اللجوء إلى المعبد الذهبى عام ١٩٨٢ بعد تزايد الاتهامات ضده بحوادث العنف ومحاولة تصفيته من قِبل أجهزة الأمن الهندية.. ولم يخرج من المعبد بعد ذلك إلا جسماً ميتاً بعد قتله من قِبل القوات الهندية عند دخولها المعبد الذهبى عام ١٩٨٤.

---

(٦٣) النيرانكارين طائفة تتبع شخصاً اسمه ديال داس (توفى عام ١٨٥٥)، ولد هندوسياً ثم ادعى أن الآلهة قد اعتبرته (المعلم الصحيح) وليس كالآخرين، لذلك فقد أسس مذهباً توفيقياً هو مذهب سيخى ـ هندوسى سماه بالنيرانكارين، لازال له أتباع فى الهند.

اختلفت الآراء حول الأسلوب الذى اتبعته السيدة غاندى فى التعامل مع هذا التصاعد فى أحداث العنف.. فكان هناك من أيّد سياسات السيدة غاندى، وكان هناك فى طرف آخر الكثيرون من رأيهم أن السيدة غاندى وقعت فى غلطة كبرى فى أسلوب تعاملها، فبدلاً من تحالفها مع قادة السيخ المعتدلين ومنحهم امتيازات عن طريق إعطائهم بعض الحقوق وتلبية بعض مطالبهم لرفع مستوى أبناء طائفتهم تجعلهم بالمقابل ينبذون المد السيخى المتطرف، فإنها دعمت - وبصورة ربما لم تكن تقصدها - متطرفين من أحزاب متطرفة لتلقين السيخ المتطرفين درساً، وفاتها أن دعم هؤلاء المتطرفين المعادين بشدة للسيخ سوف يجعلهم يفلتون من سيطرتها بعد ذلك، وفعلاً حاولت السيدة غاندى مع أحزاب المعارضة خلق حوار مع المعتدلين السيخ فى شباط (فبراير) ١٩٨٤ وانتهى الحوار بنجاح فى وعد المعتدلين بالحصول على بعض الحقوق، غير أن أعمال العنف التى قام بها حزب متطرف هندوسى اسمه Hindu Suraksha Samiti، وقتله الكثير من أبناء السيخ فى نفس اليوم الذى كانت فيه رايات السلام سترفرف على العلاقات بين الطائفتين نسفت جميع الجسور والآمال، وكان المنتصر الوحيد فى ذلك هم متطرفى السيخ وزعيمهم بهاندرانوال الذى أكد لأتباعه كراهية الهندوس المطلقة لطائفتهم ونيتهم المستمرة فى تصفية السيخ. مقابل ذلك استمرت حملة الحركة السياسية السيخية المعتدلة الساعية إلى الحصول على مزيد من الحكم الذاتى لولاية البنجاب، وكذلك الحصول على بعض الحقوق الدينية

للطائفة، مستفيدة من حقيقة عدم إيمان معظم أبناء السيخ بخط بهاندرانوال المتشدد ورفضها المطلق لفكرة تقسيم الهند أو تمزيق الوحدة الهندية.

وحول دور النفوذ الأجنبى داخل الحركة الانفصالية، فإن القناعات كلها (رسمية وغير رسمية) تنصب على تأكيد وجود هذا الدور داخل معظم الحركات، وبالخصوص تلك الحركات الانفصالية التى تعمل خارج الوطن، أما الحركات الانفصالية داخل الوطن والتى ينتمى إليها متطرفو السيخ فإن بعض المصادر المستقلة السيخية تذهب إلى عدم وجود أصابع أجنبية داخل هذه الحركات، فى الوقت الذى تتفق فيه معظم الأحزاب السياسية الهندية (غير السيخية) وشعوب الهند الأخرى على وجود تأثيرات ونفوذ أجنبى داخل جميع هذه الحركات.

إن الجهة الأساسية التى يشير إليها البعض فى وجود دور فاعل أكيد لها داخل حركات السيخ الانفصالية، هى الباكستان، العدو التقليدى للهند[٦٤]، خاصة وأن دعم الباكستان لفكرة انفصال (خالستان) عن الهند ليس بالأمر الجديد، فخلال الحرب الهندية ـ الباكستانية عام ١٩٦٥ استمر راديو الباكستان فى تحريض السيخ على الانفصال عن الهند وتأسيس دولة (خالستان) واستمر بوعدهم بأن الباكستان ستقدم إليهم جميع المساعدات والتسهيلات.

(٦٤) قبل انفصال الباكستان تفاوض السيخ عن طريق سردار بالديف سنغ (والذى أصبح وزيراً للدفاع فى أول وزارة شكلها الزعيم الراحل نهرو) مع زعماء المسلمين محمد على جناح (مؤسس الباكستان) ولياقت على خان حول تأسيس إقليم أو دولة للسيخ داخل الباكستان. وفى حينه وافق الزعيمان المسلمان على ذلك بل وأعطيا الصلاحية لتأسيس جيش مستقل للسيخ، لكن داخل دولة الباكستان المسلمة، غير أن إصرار السيخ على الاستقلالية جعل محمد على جناح يرفض ذلك.

ولم تتوقف اتهامات الهند للباكستان منذ ذلك الحين واحتجت الهند مئات المرات على دور الباكستان هذا الذى تعتبره تدخلاً سافراً فى الشؤون الداخلية للهند. وكان خط الاحتجاج ولهجته تتصاعد مع كل عملية إرهابية يقوم بها المتطرفون السيخ وتشعر الهند بأن الباكستان وراءها، إلى أن بلغت مداها خلال عام ١٩٨٤، بعد عملية اقتحام الجيش الهندى للمعبد الذهبى المقدس لدى طائفة السيخ إذ (أعلن قائد القوات الهندية الاتحادية فى أمريتسار أن الباكستانيين متورطون فى الأحداث الدامية فى شمال غرب الهند وأن القوات الهندية قد استولت بعد احتلالها للمعبد على أسلحة مصدرها باكستان وأدخلت إلى البنجاب بطريقة غير شرعية)[٦٥]، كما أشارت (بل وأسهبت) جميع الصحف ووسائل الإعلام الهندية إلى الدور الفاعل للباكستان داخل المنظمات السيخية المتطرفة التى تطالب بالانفصال من جهة وتقوم بعملياتها الإرهابية من جهة أخرى، ونشرت فى هذا الصدد تصريح وزير الداخلية الهندى بعد أسبوع من اقتحام المعبد والذى قال فيه إن حركة السيخ المتطرفة تهدف إلى إقامة دولة مستقلة باسم (خالستان) وأنها تلقى دعماً كاملاً من جانب قوى مجاورة أجنبية (وبالتأكيد فإن قصده الأساسى من ذكر القوى المجاورة كان هو الباكستان).

إن باكستان ليست هى الجهة الوحيدة المعروف نفوذها داخل الحركات الانفصالية، بل إن دور المخابرات المركزية الأمريكية وحكومة الولايات

(٦٥) صحيفة (القبس) الكويتية ـ العدد ٤٤٨، الصادر فى ١٩٨٤/١١/٣.

المتحدة الأمريكية معروف أيضاً(٦٦)، وهو أمر لمحت إليه الكثير من الصحف اليسارية والتقدمية، بل وأشارت إليه أحزاب وحركات غير يمينية هندية، خاصة بعد أن وجدت قطع سلاح كثيرة من صنع أمريكي فى المعبد الذهبى بعد اقتحامه وما قيل عن علاقات تربط بعض متطرفى السيخ بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، يضاف إلى ذلك موقف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وبعض حلفائها (ككندا وبريطانيا) من الحركات الانفصالية المتطرفة وعناصرها التى تعمل على أراضيها [بل إن بعض الأحزاب الهندية اتهمت المتطرفين السيخ والباكستان والأمريكان بالتنسيق بينهم لقتل أنديرا](٦٧). ومن المعروف أن هناك من الانفصاليين السيخ من يتلقى تدريبات على أعمال إرهابية فى معسكرات يديرها بعض المرتزقة الأمريكان بمعرفة من الحكومة الأمريكية، وخلال تلك السنوات نشطت فى كندا حركة الانفصاليين السيخ نشاطاً ملحوظاً، وأصدر الانفصاليون جوازات سفر خاصة بـ(دولة خالستان) مطبوعة فى كندا مركز نشاطهم، كذلك اعتبر موقف الحكومة البريطانية موقفاً متساهلاً جداً مع نشاطات الانفصاليين السيخ المتواجدين فيها ودعواتهم ونشراتهم المتعددة ضد حكومة الهند.

---

(٦٦) جاء فى المصدر السابق (أن الاتحاد السوفيتى قد اتهم المخابرات الأمريكية) بمساعدة الانفصاليين الهنود بتكوين دولة خاليستان فى البنجاب عن طريق دولة ثالثة هى الباكستان.

(٦٧) مجلة India Today ـ العدد الصادر فى ١٩٨٥/٤/٣٠.

ولعل من المفيد الإشارة إلى أن [المضاعفات الناجمة عن مشكلة البنجاب، لاتقتصر على الشؤون الهندية، بل تصل أيضاً إلى علاقات نيودلهى بالعواصم الخارجية أيضاً، لاسيما لندن. إذ تثير نشاطات السيخ داخل بريطانيا حفيظة الحكومة الهندية وغضبها مما يؤدى إلى تصدع فى العلاقات التقليدية القائمة بين الطرفين](٦٨).

---

(٦٨) مجلة (المجلة) السعودية ـ العدد ٢٢٩، ص ٢٨ و٢٩.

الفصـــل الرابـع

استنتاجات وتوقعات مستقبلية للحركة السيخية

(أ) مستقبل الحركة السيخية والاتجاه الانفصالي داخلها بعد أحداث عام ١٩٨٤:

كما أوردنا فى المقدمة، كان عام (١٩٨٤) هو عام (السيخ) أو (المسألة السيخية) فى الهند، إذ شهد هذا العام ذروة من التطورات بدأت بازدياد عمليات العنف والعنف المضاد بين الهندوس والسيخ من جهة والسيخ وقوات الحكومة من جهة أخرى، تبعتها قيام قوات الجيش الهندى يوم ٦ حزيران (يونيه) ١٩٨٤ بعملية اقتحام للمعبد الذهبى المقدس للسيخ بأسلوب عنف وتشدد مسلح، جعل طائفة السيخ بكاملها (من متطرفين ومعتدلين ووسط) تشعر بمهانة كبيرة نتيجة ما لحق بأقدس معابدهم، ودفع بالمتطرفين منهم إلى التصريح بتصميمهم على الثأر من أنديرا غاندى شخصياً وبعض رجال الدولة والحزب (منهم رئيس الدولة زايل سنغ والسيد راجيف غاندى ابن السيدة غاندى الذى أصبح رئيساً للوزراء واغتيل فيما بعد). وتصاعدت الأحداث حتى جاء مقتل السيدة أنديرا غاندى على أيدى حرسها الخاص من طائفة السيخ فى صباح الحادى والثلاثين من تشرين أول (أكتوبر)

١٩٨٤، كحدث أخير فى مشهد التجسيد الدرامى لحقيقة مؤداها أن معالجة التطرف السيخى لم ولن يقضى على المشكلة أو يحلها على أقل تقدير.

وكما أفرزت عملية اقتحام المعيد الذهبى الكثير من المؤشرات البعيدة عن التفاؤل بالنسبة لمستقبل العلاقة بين السيخ والدولة، فقد أدت عملية اغتيال السيدة غاندى إلى خلط الأوراق ثانية وانقلاب المعادلات بالنسبة لمستقبل الحركة السياسية السيخية «خاصة جناحها المتطرف» ومايتعلق بأمل التوصل يوماً ما إلى حل يكون كفيلاً بتهدئة الأوضاع فى دولة الهند التى اضطربت أمورها بشكل سريع ومتدهور، وأخذ مستقبل الحركة السيخية يثير تساؤل الجميع عن التحرك الذى يمكن بموجبه تلجيم العنف وإحلال السلام بين الطوائف المتصارعة فى الهند (أخصها السيخ والهندوس).

وقد جاء تصاعد الأعمال الإرهابية السيخية (والذى وصل إلى ذروته مع بدايات عام ١٩٨٤م) بعد سنوات من نشاط {سلمى} للحركة السيخية المعتدلة يتضمن مطالب الحركة بقدر أكبر من الحكم الذاتى وتأمين الحقوق الدينية للطائفة. وحيث أن الحكومة الاتحادية لم تستجب لهذه المطالب، لذا فقد المعتدلون زمام السيطرة على الطائفة التى أسلمت قيادتها للزعماء المتطرفين بزعامة بهاندرانوال، وعندما أصبح المد واضحاً وأن هيجان السيخ لن يتلاشى بمجرد إهماله، قامت السيدة غاندى بعدة محاولات للوصول للمفاوضات، إلا أن غضبة متطرفى السيخ سرعان ما انفجرت أكثر تطرفاً وتحولت من مجرد عصيان مدنى إلى حالة تمرد بقوة السلاح لتحقيق

أهدافهم الانفصالية وتحدى الحكومة المركزية، وحينما لم تنفع كل النداءات الحكومية والعسكرية لتهدئة الأوضاع وإنهاء حالة الرعب والإرهاب، تمكنت السيدة غاندى من تحويل حالة سياسية إرهابية إلى حالة عسكرية، وهكذا طالبت الجيش بالتدخل والتصرف بجرأة حسماً للموقف (كما اعتقدت) بدلاً من التسوية والمصالحة. وفى فجر يوم ١٩٨٤/٦/٤ هوجم المعبد الذهبى (وهو أكبر المراكز الدينية التابعة لطائفة السيخ)[٦٩]، وانتهت العملية (التى أطلق عليها اسم النجمة الزرقاء Blue Star) يوم ١٩٨٤/٦/٧ بمقتل العديد من زعماء السيخ، ومنهم بهاندرنوال وجماعة تابعة له قدرت المصادر الرسمية عددهم بأكثر من ثلاثمائة شخص، كما ألقى القبض على أكثر من ألف سيخى كانوا موجودين فى المعبد وقت الاقتحام.

بعد هذه العملية اشتعل حقد السيخ على الحكومة الهندية ورئيستها السيدة غاندى، واعتبر السيخ عملية اقتحام المعبد الذهبى والتدمير الذى لحقه أكبر إهانة توجه للسيخ منذ قرون[٧٠]، وعمَّ أبناء الطائفة غضب على حكومة الهند، وأخذت جميع المؤشرات تؤكد نية المجموعة المتطرفة للسيخ

---

(٦٩) كان قائد الهجوم على المعبد الذهبى ضابط سيخى من (أبطال) الحرب الهندية الباكستانية عامى ١٩٦٥ و١٩٧١، وهو اللواء رانجيت سنغ داريال، كان يعمل رئيساً لقوات الجنوب قبل تعيينه فى أول حزيران (يونيه) ١٩٨٤ مستشاراً أمنياً لحاكم البنجاب.

(٧٠) آخر مرة هوجم فيها المعبد الذهبى قبل عملية ١٩٨٤ كان قبل أكثر من مائتى عام عندما أمر الغازى الأفغانى أحمد شاه عبد على قواته بالهجوم على المعبد انتقاماً لهجوم السيخ على قوافله التى كانت تحمل من الهند إلى أفغانستان أموالاً مهربة وبضائع منهوبة.

فى تصفية السيدة غاندى وبعض كبار رجال الدولة (منهم رئيس الدولة السيخى زايل سنغ وابن السيدة غاندى راجيف الذى أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء واغتيل بعدها من قبل متطرفين).

ورغم محاولات الحكومة الهندية تبرير أسباب اقتحامها للمعبد واعتذار رئيس جمهورية الهند لزعماء الدين السيخ على ما سببته عملية دخول المعبد الذهبى من دمار، فقد ولَّدت العملية آثاراً سلبية قد لاتكون بالحجم الذى توقعته السيدة غاندى، وهى تصاعد عداء السيخ للهندوس بحدة، والتفاف السيخ حول الحركة المتطرفة وزيادة عدد المنادين بالانفصال وتحقيق هدف الانفصاليين بتأسيس دولة السيخ (خالستان)[٧١].

مقابل ذلك، اعتقد غلاة الهندوس بأن السيدة غاندى قد نجحت فى تحجيم الحركة السيخية وأن تصفية متطرفى السيخ وعلى رأسهم الزعيم بهاندرنوال سيساعد فى عودة الحركة السيخية إلى خطها المسالم، وأن السيخ عليهم أن يقبلوا بعد الضربة القاضية التى وجهت لهم بما ستحققه الحكومة الاتحادية من مطالب بسيطة لهم.

ثم جاء الحدث الأكبر الذى اهتزت له الهند، وهو نجاح بعض المتطرفين السيخ من حرس السيدة غاندى فى اغتيالها وهو ما صمموا عليه منذ عملية

---

(٧١) فى ١٩٨٤/٦/٢٢ وبعد عملية دخول المعبد الذهبى الشهيرة، التقى حشد من السيخ الذين يعيشون فى بريطانيا فى اجتماع أعلنوا فيه قيام جمهورية لهم واختيار الدكتور جانجيت سنغ رئيساً لها (سبق له وأن عين نفسه رئيساً للجمهورية عام ١٩٨٠) وتكليفه بتشكيل حكومة لهم.

اقتحام المعبد الذهبى، وهنا شهدت الهند مالم تشهده منذ أيام الانفصال، من أعمال قتل وتدمير وعنف ضد طائفة السيخ، وعاشت دلهى لأيام (أعقبت اغتيال السيدة غاندى) فى عمليات قتل المئات «بل الآلاف» من السيخ وإحراق بيوتهم ونهب محلاتهم من قبل الهندوس المتعصبين.

فى عملية اغتيال السيدة غاندى انعكست الآية، فمشاعر الغضب والحقد التى عمت طائفة السيخ إثر اقتحام المعبد الذهبى، انقلبت لتعم جماهير الهندوس التى وجدت فى هذه العملية تحدياً لمشاعرها وإهانة كبيرة لزعامة الهند منذ الاستقلال متمثلة فى قيادتها الهندوسية الدائمة.. وأن هذا السخط والحقد هو السبب فى التصفيات التى لحقت بأبناء السيخ.. ولم تقتصر مشاعر الغضب على الهندوس وحدهم بل شملت معظم أقوام وطوائف الهند التى وجدت فى تصفية السيدة غاندى ضربة لوحدة الهند وتأجيجاً للنزعات الطائفية.

وهنا جاءت الفرصة للسيد راجيف غاندى لتحمله مشاعر العطف التى حظى بها بعد مقتل والدته إلى الزعامة الأولى فى الهند، ووجد راجيف فى أيامه الأولى وضعاً مضطرباً وأعمال عنف طائفية وتمزق حاد لوحدة بلده وتعايش أبنائه.. وهنا بدأ راجيف يتعامل مع هذه الظروف بحكمة وتأنى.. ونجح (ولو بشكل متأخر بعض الشيء) فى إخماد موجة العنف الطائفى وطمأنة طائفة السيخ على مستقبلهم ضمن الدولة الهندية الواحدة[٧٢].

إن الحركة السيخية قد فقدت بعملية اغتيال السيدة غاندى الكثير من مشاعر العطف تجاهها من معظم المواطنين الهنود على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم عدا المجموعات الإسلامية المتطرفة بعض الشيء والتى وجدت فى السيخ طائفة أخرى تشاركها التخوف من مستقبل العلاقة مع طائفة الهندوس الكبيرة العدد، وللمرة الأولى منذ سنوات طويلة تتفق الحركات السياسية الهندية جميعاً عدا حركات «السيخ» فى إدانة أعمال العنف وشجب تطرف غلاة السيخ.. رغم محاولات الحركة السيخية المعتدلة والكثير من المستقلين من السيخ إعلان شجبهم وسخطهم على متطرفى الحركة التى أوصلت الأمور إلى هذه الدرجة من الكراهية المتأججة تجاه أبناء الطائفة.. فى الوقت الذى حاولت فيه الحركة المتطرفة السيخية إعادة مشاعر عطف أبناء الطائفة تجاهها ونيل تأييدها ودعمها من خلال كشف تطرف بعض أبناء الطائفة الهندوسية الذى تمثل بإحداث التصفية التى نالت الكثير من السيخ دون تمييز بينهم، وهو أمر أكد مرة أخرى للسيخ أهمية وجود وطن مستقل هو (خالستان) يحمى السيخ من العداء الهندوسى لهم.

ولم تفلح «وفى اعتقادنا» محاولات المتطرفين السيخ فى نيل الدعم المطلوب، بل وجد حكماء الطائفة السيخية والمعتدلون داخل الحركة السيخية أن أفضل طريق للتعامل مع القيادة الهندية هى فى تبنى خط مسالم لا يؤمن

---

(٧٢) عادت دورة العنف الطائفى لتغتال راجيف غاندى فى عملية انتحارية، بعد زمن ليس بطويل من استلامه السلطة.

بالعنف ويعمل على حصول أبناء الطائفة على مطالبهم الأساسية، وضرورة التخلي عن أى فكر انفصالى يستحيل قبول قيادة الهند به.

وفعلاً فقد أدى هذا الاتجاه المعتدل إلى قبول ضمنى من حكومة الهند ورئيسها راجيف غاندى، وإلى بدء مرحلة جديدة من الحوار والذى نجح فى ١٩٨٥/٧/٢٤ بإبرام اتفاق اعتبر تاريخياً بين راجيف غاندى وسانت هارشاند سنغ لونغوال(٧٣) الزعيم المعتدل لحركة أكالى دال.

إن مستقبل الحركة السيخية لازال يعتبر فى حكم المجهول ولازالت الحركة السياسية السيخية يتنازعها طرفان متضادان.. طرف يؤمن بطريق سلمى يمكن لمطالب السيخ كاملة أن تتحقق من خلاله (ويثبت ذلك بحصول السيخ على جملة من مطالبهم فى اتفاق ١٩٨٥/٧/٢٤) وطرف آخر متطرف لايؤمن إلا بالعنف والدم لتحقيق مطالب السيخ وعلى رأسها الانفصال وتأسيس دولة (خالستان)، ويرى أن تحقيق هذا الحلم يجب أن يكون عبر وسائل نضال متعددة وعبر تعاون بين أبناء السيخ ذاتهم بالدرجة الأولى، وبدعم من أطراف أجنبية يمكن أن تدفع بقضية الاستقلال (كما يدعونها) إلى أمام، وفى اعتقادنا فإن مستقبل الحركة الانفصالية تعتريه منذ الأيام الأولى لدعوة الانفصال الكثير من عوامل الضعف والفشل لأسباب عديدة أهمها اعتماده على قوى أجنبية غير وطنية واختيار طريق العنف لتحقيقه

---

(٧٣) بعد فترة قصيرة من توقيع الاتفاق التاريخي، قام متطرفو السيخ بتصفية الزعيم المعتدل لونغوال، تصميماً منهم على فرض الخط المتطرف للحركة.

بعناصر شابة يجمعها التحمس والتطرف غير الواقعى.. إضافة لرفض القيادة السياسية فى الهند البحث فى هذا الموضوع لاستحالة الوصول إلى حل بشأنه.. مع ذلك فإن الخط المعتدل للحركة السيخية يجعلها أكثر مقبولية للعقلية الحاكمة فى الهند.. وأقرب إلى منطق العقل خاصة وأن قادة هذه الحركة يمتازون بوطنية وحكمة.. تحتاجها دوماً قيادات الحركة السياسية السيخية.

إن الحكومات الهندية المتعاقبة [وإن استطاعت فى كل مرة وضع حد للاقتتال الطائفى فإنها لازالت عاجزة عن حل أسباب الخلافات الدينية والطائفية عميقة الجذور، كما وأن النار مازالت تحت الرماد، وأى نفث فيها سيؤدى إلى تجدد المعارك التى ستؤذى وحدة الأقاليم الهندية](٧٤).

(ب) تحليل واستنتاج:

١ ـ ليست المشاكل الطائفية بالشىء الجديد على الهند وصراعات الطوائف الهندية فيما بينها والتى تتخذ فى أحيان عديدة طابع العنف والدمار قديمة فى الهند قدم نشوء هذه الطوائف.

٢ ـ إن الجديد فى هذه الصراعات التى شهدتها الهند منذ أوائل الثمانينيات وإلى الآن هى أن أعمال الشغب الطائفية قد أصبحت فى السنين الأخيرة منظمة تنظيماً مدروساً، عوضاً عن كونها عفوية (كما كانت فى

---

(٧٤) مجلة (أكتوبر) المصرية ـ العدد ٤٤٩ ـ صادرة بتاريخ ١٩٨٤/١١/٤.

الزمن السابق) وأنها تأتى نتيجة الصراع السياسى والاقتصادى الحاد داخل الهند.. أى أن مرحلة الصراعات قد انتقلت إلى أمر سياسى وليس دينى.

٣ ـ إن العنف الطائفى فى الهند أخذ يهدف فى السنوات الأخيرة إلى خلق حالة من التوتر تتم تغذيتها باستمرار من قبل جماعات هى فى العادة جماعات سياسية واقتصادية قوية، تجد فى التعصب الدينى والعرقى المتأصل منذ قرون فى شعوب الهند ذريعة لتغطية أفعالهم من جهة والحصول على المكاسب التى يسعون إليها.. وهى دوماً مكاسب ذاتية بعيدة كل البعد عن المصلحة الوطنية من جهة أخرى.

٤ ـ فى اعتقادنا إن سبب الصراع الطائفى الحالى فى الهند (كما هو حالها فى الكثير من مناطق العالم) هو تحول الدين إلى عرق، وكذلك تحول الجغرافية إلى قومية.. وفى الهند اليوم مازال البحث عن معنى الوجود السياسى بمعايير اللغة والعرق والدين والموطن مستمراً..

٥ ـ إن النزاعات الطائفية التى تبرز بين فترة وأخرى طرفها الأول دوماً الهندوس وطرفها الثانى فى الغالب المسلمون أو السيخ، ليست هى الأولى ولن تكون الأخيرة..

إن مشاعر الحقد المتأصلة فى نفوس الغالبية من أبناء البلاد وتأجيج هذه المشاعر المستمر من أغلب الأحزاب الهندية خاصة الطائفية منها بسبب

عامل الجهل الذى يلف غالبية سكان الهند والدور الذى تلعبه باستمرار جهات أجنبية معادية، سيُبقى الطريق مفتوحاً أمام استمرار أحداث العنف الطائفية المتطرفة واهتزاز الوضع السياسى فيها.. وهو مايثير أسف وقلق دول العالم الصديقة من الهند.

٦ - إن مشكلتى (السيخ) و(كشمير) تعتبران من أخطر الأزمات السياسية التى تواجهها الحكومات الهندية عقب انفصال باكستان، وتشكلان - بسبب عدم حلهما - قنابل موقوتة تهدد وبشكل خطير النظام القائم فى الهند، وبالنسبة لمشكلة (السيخ) تبقى بارقة الأمل الوحيدة هى أن قادة العنف وأنصارهم المؤمنين بضرورة مواصلة النضال من أجل (خالستان) مستقلة ليسوا أكثرية فى السيخ وليست لهم تلك الشعبية الواسعة بين جماهيرهم، بل وإن كثيراً من السيخ يعلمون أن أى عمل متطرف دموى من جانب هؤلاء قد يلحق أفدح الأضرار والخسائر بباقى أبناء الطائفة المتوزعين على عموم الهند والمعروفة بحجم مصالحها الاقتصادية والصناعية الكبيرة.. بل ويهدد بالأساس وجودها.. وأكبر دليل على ذلك ما أعقب عملية اغتيال السيدة غاندى من تصفيات جسدية وخسائر اقتصادية فادحة شملت الآلاف من السيخ فى العاصمة الهندية..

٧ - مثلما هو أمر مستحيل لقسم من السيخ أو حلم مستحيل بالنسبة للقسم الآخر، فإن انفصال (البنجاب) عن الهند وتأسيس دولة للسيخ اسمها

(خالستان) هو فى حكم المؤكد أمر يستحيل على أية حكومة هندية أو حزب سياسى هندى (غير سيخى) القبول به أو حتى القبول بالتفاوض حوله، فذلك يعنى فى نظر مجموع الشعب الهندى (عدا طائفة السيخ وبعض الجماعات الإسلامية) خيانة وطنية كبرى للشعب والوطن.

٨ ـ إن التاريخ يشير إلى أن جميع الغزوات «عدا الغزو الاستعمارى البريطانى» التى كانت موجهة إلى الهند دخلت عبر ممر خيبر وهو الطريق إلى البنجاب، وحالما تصل القوات الغازية إلى إقليم البنجاب فإنها حتماً ستحتل دلهى العاصمة المجاورة للبنجاب، ولهذا فللبنجاب أهمية عسكرية كبيرة للهند.

٩ ـ تأتى أهمية البنجاب من كونها محاددة لباكستان، العدو التقليدى للهند، والتى تتميز علاقاتها مع الهند منذ انفصال البلدين عن بعضهما بالعداء التاريخى والاحتكاكات السياسية ومحاولة التأثير على بعضهما الآخر.. كل العوامل أعلاه تشترك مع هاجس أساسى لدلهى فى قبول فكرة انفصال (خالستان) التى ستكون بالتأكيد أكبر ضربة لوحدة الهند وتمزيقها. إذ سيتبع ذلك حتماً مطالبة المسلمين بانفصال كشمير (المقاطعة المحاددة لباكستان) ثم مطالبة الكثير من الحركات الانفصالية الصغيرة خاصة الموجودة منها فى جنوب وغرب الهند بانفصالها عن الوطن الأم.

١٠ ـ سيبقى المتطرفون على تطرفهم مادامت هناك دول تعمل على تفتيت وحدة الهند وإضعاف قوتها، باقية على دعمها الكامل لهذه الحركات ومادامت هناك فئات من السيخ وغيرهم من الانفصاليين مؤمنة بخط العنف بسبب فورة المشاعر الوطنية غير الموزونة أو الفئات التى أصابها ضرر كبير من أعمال العنف والقتل ضدها.

١١ ـ نعتقد أن العنف السيخى لن يكون له دور مؤثر فى المستقبل غير البعيد وسوف يتلاشى داخل الهند شيئاً فشيئاً، إن مارست الحكومة الهندية أسلوباً من الديمقراطية فى التعامل مع المسألة السيخية ليحل العقل محل السيف وإن سمحت للسيخ بممارسة قدر أكبر من الحكم الذاتى فى إقليم البنجاب، إضافة إلى أهمية إبرازها لدور متوازن فى معاملة جميع مواطنى الدولة على حد سواء ودون تمييز مواطن على آخر بسبب مذهبه أو عرقه..

الخاتمـــــة

كانت المعاناة التى عاشتها شبه القارة الهندية من حالات الانفصال والصراعات الطائفية والعرقية منذ زمن بعيد - سبق إعلان استقلال الهند - والتى تفجرت بشكل واضح فى الانفصال الباكستان عن الهند ثم انفصال بنغلاديش عن باكستان وما تزامن وأعقب ذلك من قرع دعوات انفصال التى تنادى بها جماعات السيخ فى البنجاب والمسلمون فى كشمير الهندية والجماعات الأخرى فى أسام شرق الهند وفى جنوبها، قد دفع بحكومات الهند المتعاقبة إلى مواجهة أخطار هذه الدعوات خلال تصميمها على خيار واحد يتمثل فى التصميم على الحفاظ على وحدة الهند مهما كان الثمن.. ووجدت هذه الحكومات أن هذا الخيار الوحيد لا يمكن له النجاح إلا من خلال التركيز على وحدة الجبهة الداخلية وحل المشاكل العرقية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى يعانى منها بشدة المواطن الهندى، والتى تلعب بنفس الوقت دوراً مهماً فى تقرير مستقبل البلاد.

وتشكّل المشكلة الطائفية فى الهند مثالاً صارخاً للحقيقة التى تقول بأن [الطائفية قد غدت مأزقاً سياسياً خطيراً يواجه العالم الثالث وأصبحت بمثابة بركان داخلى قابل للانفجار فى أية لحظة](٧٥).

وتأتى القوة المحركة للطائفية من خلال نظرة منغلقة فى الذات الطائفية تغطى فى بعضها على الذات القومية، وتتناسى فى بعضها الآخر مصالح الأمة ككل، دون أن نغفل أن المصالح الشخصية الضيقة والمنافع المادية وحب الزعامة تلعب دوراً ليس بالقليل فى تصعيد المشاعر الطائفية..

ويعتقد البعض أن التهديد الحقيقى لوحدة الهند وديمقراطية الحكم يأتى من خلال الفشل فى التعامل مع مشاكل البلاد الداخلية المتمثلة فى الفقر والجهل والمرض والعرق والدين والتضخم السكانى، ومع الأزمة المتمثلة فى الاشتباك الخطر والمتصاعد بين الدين والسياسية.

وتعيب بعض المصادر على حكومات الهند المتعاقبة عدم إعلان أو عدم وضوح أفكارها بالنسبة للمشاكل الطائفية التى تعصف بالبلاد، أخصها المشكلتان السيخية والكشميرية، بل إن بعض المعارضين لأسلوب الحكم فى الهند يتهم هذه الحكومات بعدم وجود إرادة حقيقية لديها لحل هاتين المشكلتين، وأن الديمقراطية التى تدعيها أنظمة الحكم المتعاقبة ليست سوى قشور زائفة لديمقراطية تخضع للأمانى الشخصية والتحالفات السياسية

---

(٧٥) صحيفة (الثورة) البغدادية ـ العدد ٢٢٨٤ ـ الصادر فى ١٩٨٤/١١/٤.

وليس هناك من أيديولوچية تحكم فلسفتها، فى الوقت الذى يرد فيه قادة الهند المتعاقبون بأن تجربتهم مع الحركات الانفصالية قد أشعرتهم بأن مطالبها لاتنتهى رغم تنازلات الحكومات المختلفة المستمرة.

وفى تقديرنا، فإن تفجر الأزمات الطائفية يأتى غالباً من فوران الوجدان الدينى للطوائف المقهورة وشعور المتطرفين من أبناء هذه الطوائف بأن هناك أيادى فى قيادة البلاد تعمل على جعلها طبقة ثانية مفصولة عن الملايين من مواطنيها، الأمر الذى يدفعها للإحساس بالغربة فى وطنها، بل واعتقادها بأن كرامتها وحريتها لن تتحقق إلا داخل دولة مستقلة.

مع ذلك، يبقى الأمل قائماً فى إمكانية حل الصراعات الطائفية فى الهند وأخصها قضية السيخ، فيما لو تم توصل قادة البلاد إلى حلول سياسية واقتصادية واستطاعوا صهر أقصى النقائص فى بوتقة واحدة موحدة وخلق أجواء من الطمأنينة والأمل فى إمكانية تغلب العامل السياسى على العامل الدينى، فمن المستحيل تصفية جماعة المتشددين، مادامت امتدادتهم موجودة فى الداخل والخارج، وما دامت هناك جهات تعمل على إدامة وتصعيد مشاعرهم الطائفية.

أخيراً، نرى أن الخطر الرئيسى الذى يواجه وحدة الهند حالياً يتمثل فى الإقليمية (الانفصالية)، وأن معالجته لن تكون إلا من خلال نجاح قيادة البلاد فى إيجاد فلسفة تخلق مناخاً ملائماً للوحدة والديمقراطية والاتحاد

السياسى وتنجح فى تجميد كل التناقضات الأساسية والاختلافات العميقة والمشاكل المختلفة التى يعانى منها مواطنو الهند، كما تنجح فى إقناعهم بأن الهند هـى وطن الجميـع دون استثناء أو تمييـز.. وهو الأمـر الذى سيسـعد بالتأكيد شعوب وحكومات دول العالم المحبة بصدق للهند.

المصادر والمراجع

أولاً ـــ الكتب والتقارير العربية:

١ ـ زيعور ـ الدكتور علي: الفلسفات الهندية، إصدار دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠.

٢ ـ الطرازي ـ الدكتور عبدالله مبشر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب (الجزء الأول)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة ١٩٨٣.

٣ ـ علي ـ محمد جواد: الهند في عهد راجيف، إصدار معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية بجامعة المستنصرية، سلسلة الدراسات الهندية، دراسة رقم (٢)، بغداد ١٩٨٥.

٤ ـ دارودو ـ جان بيير: الهند وأزمة السيخ، تقرير نشرته صحيفة اللوموند ديبلوماتيك في عددها الصادر في تشرين أول (أكتوبر) عام ١٩٨٥، ترجمة ـ الدكتور ناظم عبدالواحد جاسور، إصدار معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية بالجامعة المستنصرية، سلسلة الدراسات المترجمة، رقم (٢٤)، بغداد ١٩٨٥.

ثانيا ــ الكتب باللغة الإنجليزية:

1. Patwant Singh, The Golden Temple, Published by Time Books International, 1988.
2. Ranila Thapar, A History of India (Vol. 1+2), Penguin Books, 1998.
3. Upendra Baxi & Bhikhu Parekh, Crisis & Change in Contemporary India, Sage Publications India Pvt. Ltd., 1995.
4. M. N. Sriniva & Others, Caste. Its Twentieth Century Avatar, Viking, Penguin Books India Pvt. Ltd., 1996.
5. O. P. Goyal, Studies in Modern Indian Political Thought, Published by Kitab Mahal (W.D) Pvt. Ltd., 1962.
6. Jug Suraiya & Anurag Mathur, A Portable India, Published by Indus, 1994.
7. Khushwant Singh, The Sikhs, Vision Books, Pvt. Ltd., 1983.
8. (Mrs.) T. K. Anand, The Essence of Sikhism (Volumes 1 to 8), Vikas Publishing House Pvt. Ltd., 1996.
9. M. J. Akbar, India, The Siege Within, UBS Published Distributors Ltd., 1985.

10. Jim Masselos, Indian Nationalism, Sterling Publishers Private Ltd., 1998.

11. Surjit Mansingh, India Search for Power, Sage Publications India Pvt. Ltd., 1984.

12. Thomas Pantham/ Kenneth L. Deutsch, Political Thought in Modern India, Sage Publications India Pvt. Ltd., 1986.

13. Customs Fairs & Festivals of India

إصدار جديد عام ١٩٩٩، من منشورات وزارة السياحة الهندية.

ثالثاً ــ الموسوعات:

١ ـ الموسوعة السياسية العربية، إشراف الدكتور عبدالوهاب كيالى وكامل زهيرى، طبعة بيروت ١٩٧٤، إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

2. Encyclopedia Britannica (Volumes 12 and 20) Published by Encyclopedia Britannica, Inc., 1969.

3. New Standard Encyclopedia, Published by Standard Education Society Inc., 1963.

4. The Stateman's Year-Book (129th Edition, 1992-93), Edited by Brian Hunter, Published by St. Martin's Press, New-York.

رابعاً ــــ الصحف والمجلات:

١ ـ مجلة [أكتوبر] المصرية ـ العدد ٤٤٩ ـ صادر فى ١٩٨٤/١١/٤.

٢ ـ مجلة [العربى] الكويتية ـ عدد شهر أب (أغسطس) ١٩٨٤.

٣ ـ مجلة [المجلة] السعودية ـ العدد ٢٢٩ ـ الصفحتان ٢٨ و٢٩.

٤ ـ صحيفة [الثورة] البغدادية ـ العدد ٢٢٨٤ الصادر فى ١٩٨٤/١١/٤

٥ ـ صحفية [الحياة] البيروتية ـ العدد ١١٩١٠ الصادر فى ١٩٨٥/١٠/١

٦ ـ صحيفة [القبس] الكويتية ـ العدد ٤٤٨٠ الصادر فى ١٩٨٤/١١/٣

٧ ـ صحيفة [الهيرالد تريبيون] الصادرة بتاريخ ١٩٨٧/١٠/٧

٨ ـ مجلة [India Today] العدد الصادر فى ١٩٨٥/٤/٣٠.

خامساً ــــ اللقاءات والمقابلات الشخصية:

عدد كبير من اللقاءات والمقابلات الشخصية مع أ صدقاء ومعا وشخصيات من مختلف الطوائف والأديان والمعتقدات الهندية، لايتسع لذكرها جميعاً، كان آخرها لقاء المؤلف مع الأستاذ الدكتور كمال باشا المركز الثقافى الهندى أبو الكلام أزاد فى القاهرة.

المحتويات



المؤلف في سطور

● ولد في بغداد عام ١٩٣٩

● من عائلة علمية ودينية وهو الحفيد الرابع للعلامة الكبير أبو الثناء محمود شهاب الدين الالوسي احد كبار مفسري القرآن الكريم.

● خريج كلية الحقوق العراقية.

● دخل السلك الدبلوماسي عا[م] ١٩٦٤ وعمل في سفارات جمهوريـ[ـة] العراق في لندن (١٩٦٤-١٩٦٧) وبروكسل (١٩٦٧) ودمشق (١٩٦٩-١٩٧٤) وقنصلا عاما في جنيف (١٩٧٥-١٩٧٨) وقنصلا عاما في مومباي -بومباي سابقا- (١٩٨١-١٩٨٥) وسفيرا مفوضـ وفوق العادة مقيما لدى جمهوريـ مالي (١٩٨٥-١٩٩٤) وغير مقيـ لدى بوركينا فاسو وجمهوريـ النيجر (١٩٨٧-١٩٩٤).

● شغل داخل مركز وزارة الخارجيـ العراقية منصب مدير الهيئـ الدبلوماسية بدائرة المراسـ

(١٩٧٥ ... لفترتين

٩٧٨) ... (١٩٩٩

ومدير ... نريقيا

بالدائر ... ١٩٨١-

ومدير ... سيود

بالدائر

● شارك ... الوفو

الرسم ... ده.

● محـ ... خدم

الخار ... رجيـ

العراق ... وماسـ

والتعـ ... عام

البروتو ... اسم.

● يعمل ... رعاب

مصا ... اق لد

جمهورية مصر العربية.

● متزوج وله بنت وولدان.

